

صفحة القرن .. والمؤامرة الكبرى

من أصول الديانة ..

حفظ الأمانة

النور

الحج



الأسواق على جبل مكة الأصغر لاسمك الحبيب

القدس - مكة المكرمة - الرياض - جدة - القاهرة - القاهرة - القاهرة

القدس - حبيبات

من مقاصد الحج ومنافعه

خطورة التعصب وأضراره

وقفات شرعية مع ظاهرة الزواج العرفي

الأوقات المنهي عن الصلاة فيها



رئيس مجلس الإدارة
أ.د. عبد الله شاكر الجندي

السلام عليكم

الصلاة عُدَّة في الرخاء والشدة

اعتنى النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بتوطيد أركان الأسرة، فكانت وصاياہ للرجال والنساء، على نفس الطريقة التي سار عليها القرآن الكريم، ففي أثناء الحديث الجاد عن الطلاق وأحكامه يحدث توقف مفاجئ لينتقل الحديث إلى أمر آخر وهو المحافظة على الصلوات والصلاة الوسطى، ثم يعود الكلام مرة أخرى عن بقية أحكام الطلاق، فما سر هذا التوقف المفاجئ ليتحدث عن الصلاة وأهميتها، ثم العودة إلى أحكام الطلاق مرة أخرى؟

والجواب يظهر أن للصلاة أهمية قصوى وعظمى عند الله، وأنها عنوان على الالتزام ببقية أحكام الشرع من زواج وطلاق وغيره، فإذا صلحت صلح سائر العمل، وإذا فسدت فمضيعها لا خير فيه، ولا فائدة ترجى منه، والصلاة حينئذ هي العُدَّة في الرخاء والشدة، وهي السلاح، المدافع عن الحق المستباح، فمن حافظ عليها كان محارباً في الميدان ومعه سلاحه، فلا يخسر المعركة، كما أن التعبير يوحي بأن المحافظة على الصلاة سبب لتوفيق الله في حل المشاكل الأسرية، كما يوحي بأن أداء العباد الحقوق بينهم في الزواج والطلاق، مثل أداء الصلاة لله عز وجل، فإذا كان أصحاب المشاكل الأسرية لا يصلون، أو يصلون وهم عن صلاتهم ساهون، فالقرية مخرومة، ولن تنتهي الخصومة، والبركة في الحياة معدومة، والحياة ورياط الزوجية أيام معدودة.

التحرير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



صاحبة الامتياز

جمعية أنصار السنة المحمدية



المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي



اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيك

د. مرزوق محمد مرزوق

محمد عبد العزيز السيد

أداة التحرير || ٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت ٢٣٩٣٦٥١٧، فاكس ٢٣٩٣٠٦٦٧

المركز العام || WWW.ANSARALSONNA.COM
هاتف ٢٣٩١٥٤٥٦-٢٣٩١٥٥٧٦

البريد الإلكتروني || MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير || GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات || ٢٣٩٣٦٥١٧، ت ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

مطابع الشريعة التجارية

تتقدم لنا طائفة الكرام كرتونا كاملاً تحوي ٤٦ مجلداً
مع مجلدات مجلة الشريعة ٤٦ سنة كاملاً

مفاجأة
كبرى



سكرتير التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي



الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيهًا بحوالة
فورية باسم مجلة التوحيد . على
مكتب البريد عابدين ، مع إرسال صورة
الحوالة الفورية على فاكس مجلة
التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان
ورقم التليفون

٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال
سعودي أو مايعادلها

ترسل القيمة بسبيل فت أو بحوالة بنكية
أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع
القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار
السنّة حساب رقم / ١٩١٥٩

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش . السعودية ٦ ريالات . الإمارات ٦ دراهم
الكويت ٥٠٠ فلس . المغرب دولار أمريكي . الأردن ٥٠٠ فلس .
قطر ٦ ريالات . عمان نصف ريال عماني . أمريكا دولاران . أوروبا
٢ يورو

في هذا العدد

- ٢ افتتاحية العدد: الرئيس العام
- ٥ كلمة التحرير: صفقة القرن والمؤامرة الكبرى
- ٩ باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي
- ١٢ باب الاقتصاد الإسلامي: د. حسين حسين شحاتة
- ١٥ الأخوة صفة نادرة وازماننا مفارقة: د. عماد عيسى
- ١٧ باب السنّة: د. مرزوق محمد مرزوق
- ٢٠ مسائل الدين وصلتها بالخلاف (٣): د. أحمد منصور سبائك
- ٢١ درر البحار: علي حشيش
- ٢٣ فقه المرأة المسلمة: د. عزة محمد
- ٢٦ منبر الحرمين: د. صالح بن عبد الله بن حميد
- ٣٠ مظاهر التوحيد وحج البيت العتيق: عبده أحمد الأقرع
- ٣٣ نظرات في كتاب الأحكام: محمد عبد العزيز
- ٣٦ واحة التوحيد: علاء خضر
- ٣٨ دراسات شرعية: د. متولي البراجيلي
- ٤١ الزواج العربية: المستشار أحمد السيد إبراهيم
- ٤٤ الوسطية بين أهل السنة والجماعة (٢): معاوية محمد هيكال
- ٤٧ باب الفقه: د. حمدي ملة
- ٥٠ باب الأسرة المسلمة: جمال عبد الرحمن
- ٥٣ تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش
- ٥٧ قرآنن اللغة والنقل والعقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي
- ٦١ فن التعامل مع الزوجة: د. ياسر مكي
- ٦٥ أحداث مهمة في تاريخ الأمة: عبد الرزاق السيد عيد
- قواعد وآداب في التعامل بين الشيوخ والشباب:
- ٦٩ د. عبد الرحمن الجيران
- ٧١ فقر المشاعر: د. محمد إبراهيم الحمد

مطابع الأهرام التجارية
قليوب - مصر

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

١٠٥٥ جنيهاً شمع الكرتونة للأفراد والهيئات والجمعيات
داخل مصر و ٣٠٥ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

الحمد لله الذي فرض على عباده حج بيته الحرام، وجعل قصده مكفراً للذنوب والآثام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ويعد:

فقد فرض الله الحج على عباده المؤمنين، وجعله موسماً يتقربون فيه إلى ربهم، ويطلبون منه حاجاتهم، ويلجأون إليه في سائر أمورهم، وأخبر نبيه الأمين صلى الله عليه وسلم أنه من أحب الأعمال إلى الله، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله، قال: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قال: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور» (البخاري، ٢٦، ومسلم، ٨٣).

وهذه الشعيرة العظيمة التي يعظم المتلبس بها ربه ومولاه، تشتمل على فوائد عظيمة، ومقاصد جليلة، يجب على قاصدي البيت العتيق معرفتها، ليتحقق لهم ما أرادوه، ويرجعوا من حجهم بأجر وغنيمة، ومن مقاصد الحج ما يلي:

١ - تحقيق التوحيد:

إنَّ التوحيد هو الأصل الذي من أجله شرعت العبادات، وما بُني البيت العتيق إلا لتحقيق التوحيد، وما خلق الله الخلق إلا ليعبدوه وحده دون سواه، قال الله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ لِمَنْ دُونِ اللَّهِ شُكْرًا» (الذاريات: ٥٦)، فهو الإله المعبود الذي لا ند ولا شبه ولا مثل له، وهو الذي يعطي ويمنع، وينفع ويضر، ويقضي الحاجات ويستجيب الدعاوات، وعندما هيأ الله لإبراهيم عليه السلام مكان البيت وأعلمه به نهاء عن الشرك، وأن يهيئه للعابدين القاصدين وجه الله، قال الله تعالى: «وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتَ لِقَائِي لِلْمُتَّقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ» (الحج: ٢٦).

ومعنى الآية: لا تشرك بي شيئاً من الشركاء كائناتاً ما كان، وقد ذكر ابن حجر بإسناده عن مجاهد في قوله تعالى: «طَهَّرَ بَيْتِي» (الحج: ٢٦)، قال: من الشرك، كما ذكر عن عبيد بن عمير أنه قال: «من الآفات والريب». (انظر تفسيره: ١٧/١٠٦).

وقال ابن كثير: «هذا فيه تقرير وتوبيخ لمن عبد غير



من مقاصد

الحج

ومنافعه

بقلم / الرئيس العام

د. عبد الله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com



الله؛ وأشرك به من قريش، في البقعة التي أسست من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، وقوله: «**لَقَدْ آتَيْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالْزُكْرَ**» (الحج: ٢٦)، أي: أجعلته خالصاً لهؤلاء الذين يعبدون الله وحده لا شريك له، فالطائف به معروف، وهو أخص العبادات عند البيت، فإنه لا يفعل ببقعة من الأرض سواها.. (تفسير ابن كثير ٢/٢٩٨).

وهو بهذا ينص على أنه يحرم الطواف بغير الكعبة، والله عز وجل لم يشرعه إلا عندها فحسب، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يظهر التوحيد في الحج في أسمى معانيه ويعلمه لأصحابه، وصيغة التلبية تشعر بذلك: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك». (البخاري: ١٥٤٩، ومسلم: ٢٨١١).

ويلاحظ فيها نفي الشريك عن الله، وإثبات العبادات لرب الأرض والسموات. قال الشيخ عبد المحسن العباد- حفظه الله-: «وقد اشتملت تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم على إثبات التوحيد والبراءة من الشرك، وهو مقتضى كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله)، فإن قوله: «لبيك اللهم لبيك» بمعنى (إلا الله)، وقوله: «لا شريك لك» بمعنى (لا إله)، والحج كغيره من العبادات يجب أدائه خالصاً لوجهه وأن يكون مطابقاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والإخلاص والمتابعة شرطاً لقبول العمل، واشتملت التلبية أيضاً على تعظيم الله والثناء عليه، وأنه سبحانه وتعالى مالك الملك المتفضل بالنعمة المستحق للحمد والثناء، وأما تلبية المشركين فهي مشتملة على نقض التوحيد بالشرك؛ إذ يقولون في تليبتهم: «لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك». (انظر: تبصير الناسك بأحكام المناسك: ص ٩٠، ٩١). وكان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة: «لا إله

إلا الله وحده لا شريك له»، كما في حديث طلحة بن عبيد الله بن كريب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له..» (أخرجه مالك في الموطأ/ ١٠٥).

وهذا يدل على أن دعاء الله بالتوحيد أكثر صواباً، وأقرب إجابة وأنفع للعبد، قال ابن عبد البر: «وفيه تفضيل الدعاء بعضه على بعض، والأيام بعضها على بعض، وأن ذلك أفضل الذكر» لأنها كلمة الإسلام والتقوى، وقال آخرون: أفضله: الحمد لله رب العالمين، لأن فيه معنى الشكر، وفيه من الإخلاص ما في «لا إله إلا الله». (شرح الزرقاني على الموطأ ٢/٣٨).

ولذلك فإن التوحيد يزيد رسوخاً في قلب الحاج، ويعلن براءته من الشرك الذي بعث لحربه النبي صلى الله عليه وسلم وغيره ممن تقدمه من الأنبياء والمرسلين، وعلى رأسهم خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام الذي قال الله فيه: «**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا زَلَّزَلَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**» (النحل: ١٢٠)، والحاج وهو ينتقل من منسك إلى آخر لا يعبد إلا الله وحده مع التسليم لله تعالى في كل ما يقوم به، فهو يرمي الجمرات ويقبل الحجر الأسود طاعة وعبودية لله، ويبيت بالمزدلفة ومنى استجابة وخضوعاً لله، وهذه من مظاهر العبودية التي يتقرب العبد بها إلى مولاه، ولا يجوز أن يقدمها لسواه.

ومن هنا أقول لكل من قصد البيت الحرام: يجب أن تكون جميع أعمالك خالصة لله، وأن تسلم من الرياء والسمعة لتنال القبول، واحذر مما ينال في التوحيد حتى لا تبطل عملك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه». (مسلم: ٢٩٨٥).



والحديث يفيد أن عمل المرائي باطل ولا ثواب له فيه.

٢- الحج يحقق في النفوس قاعدة: توحيد مصدر النطق:
أهل السنة والجماعة يعظمون النصوص ويتقيدون بها ولا يخرجون عنها، وعندهم أن الدين كله مصدره الوحي الإلهي قرآنًا كان أو سنة صحيحة، وجميع ما تعبدنا الله به في هذين الأصلين، ولا يجوز للمسلم أن يخرج عنها، أو أن يتردد بين المذاهب المختلفة ويأخذ منها ما يراه، وإنما يلتزم بالشرع المنزه عن الأباطيل، وجميع أعمال الحج قائمة على التسليم فيها للخبر الوارد في الشرع، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحج بأصحابه يريهم على ذلك، ومن ذلك قوله لهم كما في حديث جابر: «لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتى هذه». (مسلم: ١٢٩٧).

قال النووي رحمه الله: «هذه اللام لام الأمر، ومعناها: خذوا مناسككم، وهكذا وقع في رواية غير مسلم، وتقديره: هذه الأمور التي أتيت بها في حجتى من الأقوال والأفعال والهيئات هي أمور الحج وصفته، وهي مناسككم فخذوها عني واقبلوها واحفظوها، واعملوا بها وعلموها الناس، وهذا الحديث أصل عظيم في مناسك الحج». (شرح النووي على مسلم: ٤٥/٩).

٣- الحج ووحدة المسلمين:

إن من أبرز منافع الحج اجتماع المسلمين من مشارق الأرض ومغاريها حول بيت الله الحرام؛ حيث يلتقي هناك الأبيض والأسود، والفني والفقير، والحاكم والمحكوم متجربين من كل زينة، وفي هذا مظهر عظيم من مظاهر اجتماع الأمة ووحدةها، وقوتها وتلاحمها، وهناك يزدادون تعارفًا وتآلفًا، ويؤكدون على ما بينهم من تراحم ومودة، وتزداد أواصر المحبة بينهم، ويتعاونون على البر والتقوى والمعروف والعمل الصالح، مستحيين لقول ربهم: «وَمَأْوَا عَلَى آلِيهِمُ وَالْقَوَىٰ ذَلَا مَأْوَا عَلَى آلِيهِمُ وَالْقَوَىٰ» (المائدة: ٢)، ومعتبرين بقوله سبحانه: «لَئِنْ هَدَيْتُمْ أَشْكَرَ اللَّهُ وَأَنَّهُ رَاحِمٌ لَّكَ وَالْقَوَىٰ» (المؤمنون: ٥٢)، ومن

شاهد هذه المواقف يلمس بوضوح ما يكون بين الحجاج من أخوة ومحبة وتلاحم، ويلاحظ كيف يناقشون قضاياهم ويوحدون كلمتهم ويلتمسون شملهم، ولا توجد فريضة يجتمع فيها المسلمون بهذا العدد كفريضة الحج.

٤- ربط حاضر الأمة بماضيها:

إن المسلم حين يأتي إلى البيت العتيق، ويذهب إلى منى وعرفات يتذكر من سبقه إلى هذه الأماكن، فيذكر بناء البيت، وخليل الرحمن الذي أذن بأمر الله في الناس بالحج، يتذكر رجالاً دعوا إلى توحيد الله وإقامة شرعه من سائر الأنبياء والمرسلين، واتباع هذا النبي الأمين صلى الله عليه وسلم يتذكر كل ذلك، فيدفعه إلى السير في هذا الموكب الإيماني الذي يضرب بجذوره في أعماق التاريخ، ويحث على المحافظة على توحيد رب العالمين الذي هو في الأصل دعوة الأنبياء والمرسلين.

٥- الحج يذكر العبد باليوم الآخر:

إن الذي يتأمل أعمال الحج يجد أنها تربط العبد وتذكره بالمصير الذي سيؤول إليه كل حي، فهو عندما يودع أهله لسفره ويترك وطنه يتذكر رحيله من الدنيا بالكلية إلى الدار الآخرة، وعندما يخلع ملابسه الذي اعتادها وألفها ليلبس ملابس الإحرام يتذكر اليوم الذي سيجرّده فيه غيره من ملابسه ليكشفه في قماش أبيض ليوضع بعد ذلك في قبره، وعندما يلتقي بجموع الحج حول الكعبة، وفي عرفة ومزدلفة ورمي الجمار يتذكر الموقف العصيب الذي يجمع فيه رب العالمين الأولين والآخرين لفصل القضاء والحساب، كل هذه المواقف يجب أن يتذكر بها العبد اليوم الذي سيرحل فيه ويلقى ربه، فيستقيم سلوكه ويستعد للقاء ربه.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل من الحجاج حجهم، وأن يسلمهم في جميع أعمالهم، وأن يردهم إلى بلادهم سالمين غانمين، وأن يرزقنا الحج والعمره والوفاة على الإيمان، وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.





صفقة القرن .. والمؤامرة الكبرى

الحمد لله مالك الملك، يُعزّز أهل طاعته، ويذلّ أهل معصية، وبعد:

فبعد أيام مرت على نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس المحتلة، والاعتراف بها عاصمة للكيان الصهيوني، يبدأ الرئيس الأمريكي ترامب وإدارته الانتقال إلى المرحلة الثانية من خطته التي حاكها بنفس وصياغة إسرائيلية لجعل صفقة القرن أمراً واقعاً، وشواهد ما تمّ تسريبه عمداً منها يسير إلى مآلات حاكها الإسرائيليون والأمريكان.. على غرار وعد بلفور البريطاني عندما زرعوا اليهود في أرض فلسطين سنة ١٩٤٨م.

وترامب يخلع القناع الذي ارتداه السابقون من رؤساء أمريكا، ويعلن بكل تبجح ولا مواربة عن تنفيذه لنقل السفارة، والاعتراف بالقدس عاصمة للدولة اليهودية، ثم تأتي المرحلة الثانية، وهي الشروع في طرح صفقة القرن التي تُعدّ - حال تنفيذها - نكبة جديدة للشعب الفلسطيني، خاصة مع مراهنة ترامب على الحالة الاقتصادية للشعب الفلسطيني، وأنها ستجبره على قبول صفقة القرن، وتأجيج الخلافات والانشقاقات الفلسطينية لإضعاف السلطة الفلسطينية والضغط عليها، وعلى دول الجوار لتمرير الصفقة، ولكن الله سبحانه سيذهب كيدهم، ويمحق مكرهم، فالحلم رذ كيدهم في نحورهم. فأدركوا السفينة قبل أن تغرق، وكفى ضعفاً وهواناً، ونفق من غفوتنا قبل فوات الأوان، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

صفقة القرن ليست مستعجلة!!

إقامة كيان سياسي لليهود في فلسطين، هو الحيلولة دون وحدة الأمة العربية والإسلامية. ومن أجل ذلك؛ فإن المحافظة على هذا الكيان وتثبيتته فيما يسمى بمنطقة الشرق الأوسط هو هدف استراتيجي ثابت لا يتغير عند الدول الغربية، فالمؤامرة مستمرة فهي قديمة ومُتجددة.

أما صفقة القرن التي يجري الحديث عنها هذه الأيام، فهي عبارة عن خطة سياسية رسمتها أمريكا وساسة اليهود لحل القضية الفلسطينية، تهدف إلى خدمة المشروع الصهيوني داخل

إن المؤامرات على أرض الأقصى وبيت المقدس لم تتوقف منذ اتفاقيات «سيكس بيكو»، مروراً بوعد بلفور حتى يومنا هذا، وكان من أبرز هذه المؤامرات، تمكين اليهود من هذه الأراضي المقدسة في ظل اغتصابات بريطانية لها، ثم تتابعت المؤامرات واحدة تلو الأخرى؛ لأن الهدف من تمكين اليهود أبعد وأعمق من تنفيذ وعد بلفور، وأبعد من إيجاد وطن قومي لليهود، فهناك مخطط غربي يرمي إلى إبعاد الأمة عن مشروعها الحضاري، وقد كان من أبرز أهدافه



وذلك لوجود أربعة عوامل بارزة ساهمت في تراجع القضية الفلسطينية، منها الأزمات التي تفجرت في الشرق الأوسط؛ لأن إسرائيل تعمل على تضجير التناقضات في العالم العربي، وهي في أفضل حالاتها؛ لأن القضية الفلسطينية قد تأثرت أيما تأثر بالانقسام الفلسطيني.

وتروج إسرائيل للصفقة على أنها حركة اقتصادية ضخمة ستنشأ عبر شبكة سكة حديد، وطريق سريع، وأنبوب نفط يمتد نحو بناء غزة الكبرى مما يحقق عائداً مالياً ضخماً لكل من مصر وغزة والأردن وإسرائيل. إن الإدارات الأمريكية المتعاقبة والحالية ومنذ احتلال فلسطين عام ١٩٤٨م، قد دعت إلى التوطين، وترامب وإدارته متحمسون جداً لصفقة القرن هذه، فضلاً عن مجارة هذه الصفقة للاتجاهات الجديدة التي تقوم على إيجاد حلول للبؤر الملتبئة في العالم عبر حلول متعددة الأطراف على أساس ربحي اقتصادي، وبحسب مصالح اللاعبين الكبار فيما يشبه استعماراً جديداً لاحتلال الدول وتفتيتها، ونهب ثرواتها.

ويأتي السؤال الملح: هل سيكون الطريق إلى صفقة القرن سهلاً، أم أنه سيلقى مصير المبادرات الأمريكية السابقة التي جاءت بالفشل، وذهبت أدراج الرياح؟

إن المتتبع للموقفين الأمريكي والإسرائيلي في الأونة الأخيرة يجد اشتراطاً تاماً إلى حد التناغم في القضايا المحورية، وتحديدًا تلك المتعلقة بالمسار الفلسطيني وهو أمر معتاد، خاصة في قضية يتقاسم فيها الطرفان الاهتمام والحوار والمتابعة، كما هو حال التوافق على الحق الديني والتاريخي لليهود في القدس، والدولة الفلسطينية المنزوعة السلاح، وحل قضية اللاجئين الفلسطينيين خارج حدود الخط الأخضر، ووقف كافة أشكال المقاومة المسلحة، والضغط باتجاه التطبيع والاعتراف بيهودية الدولة والكيان قبل الشروع في أي تسوية، وإعادة صياغة العلاقات العربية- الإسرائيلية على أسس

فلسطين، والتنازل عن ركائزها الأساسية التي أقرت في المحافل الدولية، وسميت بصفقة القرن نظراً لأهميتها للإدارة الأمريكية وللكيان الصهيوني، وللدول المجاورة.

ويأتي البعد التاريخي لتلك الصفقة من أن أمريكا قد عرضت هذا الأمر وتلك المؤامرة، وهو توطين قسم من الشتات الفلسطيني في صحراء سيناء لإنهاء قضية اللاجئين على الرئيس الأسبق عبد الناصر بالتنسيق مع الأونروا (وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين)، ولكن فشلت تلك المحاولة في توطين ٦٠ ألف فلسطيني في سيناء، وأعيد طرح هذا المشروع من قبل أمريكا في عهد الرئيس السابق مبارك، وأيضاً تم إفشاله، وتأتي تسريبات الصفقة المشبوهة المسماة بـ «صفقة القرن» التي من أبرز ملامحها توطين قسم من مهجري فلسطين في بعض الدول العربية المجاورة، والبعض من قطاع غزة داخل صحراء سيناء حتى منطقة العريش، لتكون هذه المنطقة مستقبلاً نواة لدولة فلسطينية منزوعة السلاح.

التناغم الأمريكي الإسرائيلي في صفقة القرن

ثمّة ما يوحي بأن الصفقة التي حيكت لبيل بين الأمريكيان واليهود، ويتم تسويقها على أنها حل للقضية الفلسطينية بعد نقل السفارة الأمريكية للقدس، والاعتراف بالقدس من قبل أمريكا عاصمة للكيان الصهيوني، ووقف الدعم الأمريكي لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين «الأونروا»، وإغلاق مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية في واشنطن، بقرب طرح ما يسمى بـ «صفقة القرن».

هذه الصفقة التي وضعها دبلوماسيون دوليون يأتي على رأس أهم أهدافها، إبقاء القدس والبلدة القديمة تحت سلطة الاحتلال مع استبعاد عودة اللاجئين، والإبقاء على المستوطنات، وعدم إقامة الدولة الفلسطينية على حدود ١٩٦٧م، وإقامة حكم ذاتي موسع في الضفة الغربية.

إن الاهتمام الأمريكي والدولي قد تراجع عن القضية الفلسطينية إلى أدنى مستوى له،



اقتصادية جديدة تحتل فيها إسرائيل موقع القيادة والمركز، ويحتل العرب موقع الأطراف، فإسرائيل الأكثر تقنية بخبراتها، وأموال النفط العربي واليد العاملة الفلسطينية الرخيصة: من شأنه تحويل إسرائيل إلى نقطة الاستقطاب والتصدير في نفس الوقت.

مواصفات الدولة الفلسطينية حسب صفقة القرن

وتركز صفقة القرن في مضمونها على أن تكون الدولة الفلسطينية المقترحة منزوعة السلاح باستثناء قوات أمنية محدودة تعمل تحت الرقابة وليس لها أي حق في إبرام المعاهدات العسكرية، واحتفاظ الاحتلال بغلافها الجوي والبحري والبحري للرد على أي تهديدات أمنية من إيران وحزب الله، ناهيك عن الارتباط المباشر وغير المباشر لاقتصادها بإسرائيل، أي أننا سنكون أمام مجرد منطقة صناعية ومحمية معطلة الأوصال على أرض منزوعة السيادة والإدارة، وليس أمام دولة بالمعنى المتعارف عليه دولياً، وبالمفهوم الأمريكي مجرد حكم ذاتي مسلوب الصلاحيات.

إن استثناء المفاوضات دون شروط مسبقة وبدء العرب بالتطبيع الفوري في كافة المجالات لإثبات حسن النية تجاه الاحتلال تحت إطار السلام الاقتصادي، وهو المصيدة القديمة المتجددة لاستجلاب أموال النفط العربي بغية توظيفها في عمليات التوطين وانعاش الاقتصاد الإسرائيلي، وجعلها نقطة عبور لتحويل مشروع السلام العربي إلى مبادلة التطبيع بالانسحاب من أجزاء من أراضي ١٩٦٧م، وإقامة الدولة الفلسطينية على ما تبقى منها، مع احتفاظ الاحتلال الإسرائيلي بوادي الأردن، «وَسَكُرُونَ وَنَسْكُرُ اللَّهُ» (الأنفال: ٣٠).

ويبقى السؤال الذي يواجه العرب والمسلمين، وهو: ماذا لديهم من عوامل قوة وضغط لجعل الموازين في صالحهم، خصوصاً بعد ارتضاؤهم بتجزئة مسارات التفاوض والحلول، وتخليهم عن سلاح المقاومة، أم إنهم سيكتفون بالتعويل والرهان على الوسيط الأمريكي غير المؤتمن، والذي لم يكن في يوم من الأيام نزيهاً

ومحايداً؟

المخطط الأمريكي لاقتطاع سيناء

وحسب المخطط التأمري لما تم تسريبه عن صفقة القرن، نشرت الصحف العربية والدولية بنوداً لما احتوت عليها الصفقة المرفوضة مصرياً وأردنياً، وإعلان القيادة المصرية عن تمسكها بحل الدولتين في حدود ١٩٦٧م، وإقامة دولة فلسطينية على تلك الأراضي عاصمتها القدس الشرقية، وحق العودة للاجئين الفلسطينيين، وتنص صفقة القرن المزعومة على أن تتنازل مصر عن ٢٠ كم^٢ من أراضي سيناء لصالح الدولة الفلسطينية المقترحة، وهذه الأراضي عبارة عن مستطيل ضلعه الأول ٢٤ كم^٢، ويمتد بطول ساحل البحر من مدينة رفح غرباً، وحتى حدود مدينة العريش، أما الضلع الثاني فيصل طوله إلى ٣٠ كم^٢ من غرب كرم أبو سالم، ويمتد جنوباً بموازاة الحدود المصرية الإسرائيلية، وتبلغ مساحة هذه الأراضي ٢٠ كم^٢، والتي سيتم ضمها إلى غزة تضاعف مساحة القطاع ثلاث مرات، حيث إن مساحته الحالية تبلغ ٢ كم^٢ فقط.

وتنص البنود الواردة في صفقة القرن على أنه مقابل الأراضي التي ستتنازل عنها مصر للفلسطينيين تحصل مصر على أراضي من إسرائيل جنوب النقب «منطقة وادي فيران»، وتبلغ مساحة تلك المنطقة التي ستنتقلها إسرائيل لمصر حسب الصفقة ٢٠ كم^٢.

ولا شك أن توسعة غزة حسب ما أعلن ووفقاً للمشروع الإسرائيلي المقترح هذا يمنحها ٢٤ كم^٢ من السواحل المطلقة على البحر المتوسط بكل ما يترتب على ذلك من مزايا مثل التمتع بمياه إقليمية تصل ٩ أميال بحرية، وخلق فرص وفيرة للعثور على حقول الغاز الطبيعي في هذه المياه.

كما أن إضافة ٢٠ كم^٢ لغزة تمكن الفلسطينيين من إنشاء ميناء دولي كبير في القطاع الغربي من غزة الكبرى ومطار دولي على بُعد ٢٥ كم^٢ من الحدود الإسرائيلية، والأهم بناء مدينة جديدة تستوعب مليون شخص على الأقل،



الغربية، كما تتضمن تأجيل وضع مدينة القدس، وعودة اللاجئين إلى مقاضات لاحقة، والبدء بمحادثات سلام إقليمية بين دولة الاحتلال الإسرائيلي والدول العربية بقيادة المملكة العربية السعودية.

من المعن تأتي المنع

تضاءلوا بالخير تجددوا، فبالرغم مما يمر به عالمنا العربي والإسلامي من أزمات ونكبات، وما يحاك بنا من مؤامرات، إلا أننا لا نفقد الثقة بالله، ولقد مرت أمتنا الإسلامية بفترات من الضعف والتفكك، ومن هوان الحكام بعد أن غزا الصليبيون أراضيهم، واغتصبوا ديارهم لأكثر من مائتي عام متواصلة، وكانت في حالة من التفكك والضعف والهوان لا تحسد عليها، ومن كان ينظر إلى حال الأمة في تلك الحقبة المظلمة يُظن أنها لن تقوم لها قائمة أبداً؛ إلا أن الأمة قد نهضت من سباتها، واستفاقت من كبوتها، وهياً الله سبحانه وتعالى لها قادة أفاضل قادوها ووحدوا بلادها، فأفشلت كل مشاريع الكفار، وحررت ما اغتصب منها، وما حدث في عهد الصليبيين حدث بنفس الطريقة في عهد المغول الوثنيين، وفي عهد الاستعمار الأول، وقد رفضت الشعوب في العالم الإسلامي كل المشاريع لتصفية قضية الأرض المباركة، ابتداءً من مشروع التقسيم عام ١٩٤٧م، وانتهاءً بما يخطط له اليوم. إن صفقة القرن لا تعدو كونها مشروعاً أمريكياً قديماً حديثاً، تريد حكومة ترامب من وراء تجسيدها في الواقع هذه الأيام إلى تحقيق مكسب سياسي كبير، ليكون ذلك دعماً له في ظل الهزات التي يتعرض لها البيت الأبيض، وأن هذا المشروع لن ينفذ إلا على جثث الآلاف بل الملايين من أبناء أمتنا الإسلامية، وإن إرادة الله سبحانه فوق إرادة هؤلاء، وأن مكر الله عز وجل فوق مكرهم. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل مكر هؤلاء الكفرة اللئام في نحورهم، وأن يسلم أمة الإسلام من شرورهم، اللهم آمين، والحمد لله رب العالمين.

وتشكل منطقة تطور ونمو طبيعي لسكان غزة والضفة، بل ويمكنها من استيعاب أعداد اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في دول أخرى.

ولكن هيهات أن تفرض مصر في ذرة واحدة من أراضيها مهما كانت المغريات.

صفقة القرن والدور الفلسطيني الفاعل في الخارج

في الوقت الذي تستعد فيه أمريكا لإعلان صفقة القرن بعد التمهيد لها بتسريب بنودها، وإرسال الوفود إلى دول الشرق الأوسط لإطلاع تلك الدول على تفاصيل الصفقة في ظل التطورات الإقليمية الرهيبة والدولية الخطيرة التي تستهدف القضية الفلسطينية؛ فإنه يستوجب على فلسطيني الخارج والذي يقع عليهم واجب تاريخي وإنساني كبير، فالفلسطينيون في الخارج يبلغ تعدادهم ستة ملايين فلسطيني؛ ثلاثة أرباعهم من فئة الشباب المتعلم في جميع المناحي والمجالات، والفلسطينيون في أوروبا على وجه الخصوص لديهم قدرات كبيرة يجب استغلالها في كل الميادين، وضرورة رفع قضايا ضد الاحتلال الإسرائيلي في المحاكم الدولية، وعدم التلوث في هذا الأمر.

وتجدر الإشارة إلى أن الفلسطينيين ذوي الملايين الستة معظمهم لاجئون في الدول العربية والأردن ولبنان وسوريا ودول الخليج، كما يعيش أعداد كبيرة منهم في الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية، ودول أخرى، ويجب عليهم أن يمارسوا كل أنواع الضغوط لمجابهة تلك الصفقة المشبوهة.

جدير بالذكر أن مصطلح «صفقة القرن» قد دخل دائرة التداول منذ تولي ترامب منصب الرئاسة، وبدأت تفاصيلها تتسرب إلى وسائل الإعلام بعد زيارات «كوشنر، المبعوث الأمريكي للشرق الأوسط، وعرض تفاصيل الخطة على الدول التي زارها، والتمهيد لها، وبحسب بعض المصادر الإعلامية فإن الصفقة تتضمن إقامة دولة فلسطينية تشتمل أراضيها على قطاع غزة والمنطقة (أ، ب)، وبعض أجزاء المنطقة (ج) في الضفة





سورة محمد

صلى الله عليه وسلم

٥. عبد العظيم بدوي

قال تعالى: « وَاعْلَمَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَعِمْ زَيْدًا لَكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ »
(محمد: ١٩).

يوجب تعلق القلب به ومحبته، والتائه له وحده لا شريك له. (تيسير الكريم الرحمن، ٧٤/٧).

ولذلك قال تعالى: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَاتَّقُوا مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (أبراهيم: ٣٢-٣٤)»، وقال تعالى: «وَرَبِّهِمْ إِذْ قَالَ اللَّهُ وَأَنْفِقُوا فَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا أَنْفِقَ مِنْ شَيْءٍ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (البقرة: ٢١-٢٢)».

إِنَّمَا إِلَهُ الْإِنْسَانِ مُدْبِرٌ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُ لَكُمْ رِزْقًا فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْزَلَ الرِّزْقَ وَأَعَدَّ لَهُ إِلَهًا (الأنعام: ١٦-١٧).

وقوله تعالى: «وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ» أي مما يكون منه صلى الله عليه وسلم خلاف الأولى، والالافالأنبياء معصومون من كبائر الذنوب. وقد تكرر هذا الأمر له صلى الله عليه وسلم في مواضع:

أي: إذا علمت أن مدار السعادة هو التوحيد والطاعة. ومدار الشقاوة هو الشرك والعصيان. فاشتبهت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه. (إرشاد العقل السليم، ٨٩/٦).

فمن علم بأن الله تعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير، علم بذلك أنه المنفرد بالالوهية. ولذلك قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْتَدُوا زَيْدًا لَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَلَكُمُ ثَقُوفٌ (٣٢) الَّذِي جَمَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ وَرَبَّ السَّمَاءِ بَنَاهُ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَحْصُلُوا لَهُ أَندَادًا وَأَنْتُمْ قَاسِرُونَ».

عن ابن عباس: أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره. وقد علمتم أن الذي يذوقكم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من التوحيد هو الحق الذي لا شك فيه. (تفسير القرآن العظيم، ٥٧/١).

ومن علم بأن الله تعالى هو المنفرد بالنعمة الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، فإن ذلك

وسلم أَنَّ يَسْتَغْفِرَ لَذُنُوبِهِمْ وَهُوَ الشَّفِيعُ الْحَبَابُ فِيهِمْ. (معالم التنزيل، ١٥٨/٥).

ومما لا شك فيه أنه صلى الله عليه وسلم كما امتثل أمر ربه له بالاستغفار لذنبه قد امتثل الأمر بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُرْجَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا - أَوْ قَالَ لَحْمًا - قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: أَسْتَغْفِرُكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ وَلَكَ. ثُمَّ تَلَاهُ هَذِهِ الْآيَةَ:

«وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ..» (صحيح مسلم ٢٣٤٦).

وقد رغب صلى الله عليه وسلم المؤمن في استغفار بعضهم لبعض:

عَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً..» (أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ٢٣٤/٣)، وقال الهيثمي في «المجمع»، (٢١٣/١٠): إسناده جيد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٥٩٠٢).

وقوله تعالى: «وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتَوَاكُم..» يَقُولُ: فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مُتَصَرِّفَكُمْ هَيْمًا تَتَصَرَّفُونَ فِيهِ فِي يَقْظَتِكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَتَوَاكُم إِذَا تَوَلَّيْتُمْ فِي مَضَاجِعِكُمْ لِلنَّوْمِ لَيْلًا لَا يَخْضَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ (جامع البيان، ٥٤/٢٦).



قال تعالى:

«اسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا» (النساء،

١٠٥-١٠٦)، وقال تعالى:

(التنصير: ١-٣).

ولقد استجاب صلى الله عليه وسلم لأمر ربه أحسن استجابة، وقام به خير قيام، فكان لسانه مشغولا دائما بالاستغفار:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً..» (صحيح البخاري ٦٣٠٧).

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِذَا كُنَّا تَتَعَدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.. (صحيح سنن أبي داود ١٥٠٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: مَا صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ، إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: «سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي..» (صحيح البخاري ٤٩٦٧).

وقوله تعالى: «وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، أَيْ وَاسْتَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَهَذَا إِكْرَامٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، حَيْثُ أَمَرَ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

فتسألني الأميرة هل انتمزت؟ والزجاجة هل ازدجرت؟ فاعوذ بالله من علم لا ينفع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع. (جامع بيان العلم وفضله، ٣/٢).

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ عِنْدَ رَبِّهِ حَتَّى يُسَالَّ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَهْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مَنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ.» (صحيح الترغيب، ١٧٥).

وقد ذم الله تعالى الذين يقولون ما لا يفعلون، فقال سبحانه: «سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ. (الصف، ١-٣). وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ» (البقرة، ٤٤).

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَرَرْتُ لَيْلَةً أُسْرَى بِي عَلَى قَوْمٍ تَقْرُسُ شِفَاهَهُمْ بِمَقَارِضٍ مِنْ نَارٍ. قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطْبَاءُ أَمْتِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا. كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ»

أَهْلًا يَعْقِلُونَ.»

(أخرجه

أحمد ١٧٢٣٢،

وقال الهيثمي

٢٧٦/٧، رجاله

رجال الصحيح.

وأخرجه الضياء

(٢٦٤٦) وقال:

إسناده صحيح).

وللحديث

بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب

العالمين.



كما قال تعالى: «... وَاسْتَفْزِزْ لِدُنْيِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْعَمَلِ» (١٩)، «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (٢٠)، «وَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» (٢١)، «وَقَالَ تَعَالَى: «اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ» (الحديد، ٢٠). ثم قال: «سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» (الحديد، ٢١)، «وَقَالَ تَعَالَى: «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ» (الأنفال، ٢٨)، «ثُمَّ قَالَ بَعْدُ: «فَاخْذَرُوهُمْ» (التغابن، ١٤).

وفي قوله تعالى: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» واستغفر لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، دلالة على أن العلم يستلزم العمل، حيث بدأ بالعلم وثنى بالعمل،

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ سَأَلَ عَنْ فَضْلِ الْعِلْمِ فَقَالَ: أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ حِينَ بَدَأَ بِهِ: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ» (محمد، ١٩)، «فَأَمَرَ بِالْعَمَلِ بَعْدَ الْعِلْمِ» وَقَالَ تَعَالَى: «اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ» (الحديد، ٢٠). ثم قال: «سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» (الحديد، ٢١)، «وَقَالَ تَعَالَى: «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ» (الأنفال، ٢٨)، «ثُمَّ قَالَ بَعْدُ: «فَاخْذَرُوهُمْ» (التغابن، ١٤).

(الجامع لأحكام القرآن، ٢٤٢/١٦).

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: «الْعِلْمُ يَهْتَفُ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ وَالَا ارْتَحَلَ.» وقال مكحول: «كَانَ رَجُلٌ يُسَالُّ أَيَا الْبُزْدَاءِ.» فقال له: كل ما تسأل عنه تفعل به؟ قال: لا،

قَالَ: «فَمَا تَصْنَعُ بِزِيَادَةِ حُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْكَ.» وَعَنْ أَبِي الْبُرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّمَا أَخَافُ أَنْ يُقَالَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَعْلِمْتَ أَوْ جَهِلْتَ؟ فَأَقُولُ: عَلِمْتُ. فَلَا تَبْقَى آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى أَمْرَةً أَوْ زَجْرَةً إِلَّا جَاءَتْني تَسْأَلُنِي فَرِيضَتَهَا.



التطبيق

المقاصد

للاقتصاد

الإسلامي

ولقد مرت تطبيقات الاقتصاد الإسلامي بحالات مختلفة منذ تأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة وحتى اليوم، كما أن هناك محاولات معاصرة في بعض الدول الإسلامية لتطبيقه وظهرت بعض النماذج العملية لذلك منها على سبيل المثال، المصارف الإسلامية، وشركات الاستثمار الإسلامي، وشركات ومؤسسات التأمين والتكافل الإسلامي، ومؤسسات الزكاة، ومؤسسات الوقف ونحو ذلك، كما قامت بعض الكيانات الاقتصادية والمالية التقليدية بمحاولة تطبيق بعض الصيغ والمنتجات الاقتصادية والمصرفية الإسلامية.

وعلى المستوى القومي، حاولت بعض الدول تطبيق الاقتصاد الإسلامي نسبياً مثل، دولة السودان، ودولة ماليزيا، ودولة باكستان، وغير ذلك، ولقد حقق بعضها نجاحاً في بعض الجوانب وأخفق في بعضها، وما زالت الجهود متواصلة في أقطار الأمة العربية والإسلامية.

ويهدف هذا الفصل إلى تناول تقييم محاولات التطبيق المعاصر لمفاهيم وأسس ومعايير ونماذج الاقتصاد الإسلامي مع التركيز على، المقومات والمحددات والمعوقات والنماذج والأفاق.

والمقاصد المنشودة هي دعم ودفع عجلة التطبيق لنعم جميع المجالات والأقطار حتى تكون الهيمنة للاقتصاد الإسلامي.

الاقتصاد الإسلامي موجود منذ صدر الدولة الإسلامية والذي أرسى أسسه وقواعده رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ساروا على هديه ونهجه، فعلى سبيل المثال وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أسس المعاملات الاقتصادية والمالية القائمة على القيم الإيمانية والأخلاقية ومنها: الخشية من الله، واستشعار مراقبته، والإيمان بالحاسبة الأخروية، والصدق والأمانة، والتسامح والقناعة، والأخوة والحب، وتحريم الربا، والغش، والاحتكار، والاكتمار، والاستغلال، والجشع، والفر، والجهالة،

العديد من الكيانات الاقتصادية الإسلامية التي تلتزم بالقواعد والأحكام الشرعية. كما قامت بدور كبير في تطبيق مفاهيم وأسس ونظم الاقتصاد الإسلامي... إلى أن اندلعت الثورات السياسية في بعض البلدان العربية وألقت تلك المفاهيم والأسس وطبقت المفاهيم (الأسس) الاشتراكية والرأسمالية الاقتصادية والتي سببت الكساد والتخلف في معظم تلك البلدان ونهبت خيراتها بواسطة أعداء الإسلام.

ثم ظهرت الصحوة الإسلامية مرة أخرى في أوائل السبعينيات في جميع البلدان العربية والإسلامية وامتدت إلى مجال الاقتصاد والمعاملات وكان من أبرز معالمها في هذا الشأن ما يلي:

- اهتمام الدعاة والعلماء بالاقتصاد الإسلامي والدعوة إليه.

- زيادة عدد البحوث والدراسات في مجال الفكر الاقتصادي الإسلامي بفروعه المختلفة وإنشاء جمعيات ومراكز للاقتصاد الإسلامي.

- تدريس الاقتصاد الإسلامي وفروعه في عديد من الجامعات العربية والإسلامية وإنشاء أقسام ومعاهد وكليات متخصصة في ذلك.

- إصدار مجالات متخصصة في الاقتصاد الإسلامي.

- تنظيم ندوات ومؤتمرات وملتقيات للاقتصاد الإسلامي.

- انتشار المؤسسات والشركات الاقتصادية والمالية الإسلامية ومنها على سبيل المثال:-

- المصارف والبنوك الإسلامية.

- مؤسسات وهيئات التأمين الإسلامي.

- شركات ودور الاستثمار الإسلامي.

- صناديق الاستثمار الإسلامي.

- إنشاء هيئات ومجامع متخصصة في فقه الاقتصاد الإسلامي.

- ولقد تميزت هذه الفترة بالتطبيق بجانب التنظير.

مقومات تطبيق الاقتصاد الإسلامي:

والمقاومة. والمنابذة، والنجش، والعينة، وكل ما يؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل، فتروى كتب السيرة أنه بعد أن فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بناء المسجد في المدينة أخی بين المهاجرين والأنصار وأسس السوق لتكون أساساً للمعاملات الاقتصادية الإسلامية.

ويعتبر فقه المعاملات هو الدستور الاقتصادي الإسلامي، وهو شامل للقواعد الكلية الاقتصادية ولقد سار المسلمون على هذا الدستور في معاملاتهم والتي انتشرت في جميع بقاع العالم وطبقها كذلك غير المسلمين، وظل الحال على ذلك حتى جاء أعداء الإسلام إلى ديار المسلمين وبدلوا نعمة الله كفرة وأحلوا النظم الاقتصادية الوضعية محل النظم الاقتصادي الإسلامي، فعلى سبيل المثال ألغوا نظام الاستثمار الإسلامي وأحلوا محله النظام الربوي، وألغوا نظام زكاة المال وأحلوا محله نظام الضرائب، وألغوا نظام التكافل الاجتماعي وأحلوا محله نظام التأمين وهكذا... ولقد توج ذلك بإلغاء الخلافة الإسلامية وتطبيق العلمانية التي تنادي بالفصل بين الدين والدولة وتقنين الربا والضرائب والتأمين وغير ذلك من النظم الاقتصادية الوضعية.

ومن يدرس ويحلل النظم الاقتصادية المطبقة في الدول الإسلامية الآن تجدها تسير في النهج الاشتراكي أو الرأسمالي أو خليط منهما معاً. وكل هذا يسير على أساس الفصل بين الاقتصاد والقيم الإيمانية والأخلاقية، وانتشرت المفاهيم العلمانية ومنها: دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله. الغاية تبرر الوسيلة. الدين لله والوطن للجميع. وترتب على ذلك التخلف والحياة الفسك ومحق البركة، وهذا ظاهر وجلي في معظم الدول العربية والإسلامية.

محاولات الحركات الإسلامية المعاصرة في تطبيق الاقتصاد الإسلامي.

لقد ظهرت مجموعة من الحركات الإسلامية في أوائل الثلاثينيات لتذكر المسلمين بشمولية الإسلام وأنه دين ودولة، ومصحف وسيف، وشعائر وشرائع، ويجب على الدولة أن تتخذ من الدين سنداً في كل شيء، وقامت هذه الحركات بتأسيس

من أهم مقومات التطبيق المعاصر للاقتصاد الإسلامي ما يلي:

أولاً، مقوم المجتمع الاقتصادي الإسلامي.

ثانياً، مقوم الحكومة المسنولة عن تطبيق الاقتصاد الإسلامي.

ثالثاً، مقوم العنصر البشري الذي يتولى كافة شئون تطبيق الاقتصاد الإسلامي.

وسوف نتناول هذه المقومات بشيء من التفصيل في البنود التالية.

أولاً، مقوم المجتمع الاقتصادي الإسلامي،

يتطلب تطبيق الاقتصاد الإسلامي وجود المجتمع الذي يفهم أفراد الإسلام كعقيدة وشريعة، ولديه الحافز والدافع والباعث والتضحية لتطبيق شريعته بصفة عامة، وضوابط وقواعد الاقتصاد الإسلامي بصفة خاصة، المجتمع الذي يؤمن أفراداً أن في تطبيق الاقتصاد الإسلامي منافع اجتماعية واقتصادية وسياسية، وقبل ذلك هو جزء من تطبيق الشريعة وهو عبادة ربانية.

ويجب أن يتوافر في أفراد هذا المجتمع مجموعة من القيم والأخلاق والثقافة الاقتصادية الإسلامية ما تعينه على التطبيق، وهذا ما يطلق عليه، الحس والسلوك الاقتصادي الإسلامي، ولن يتحقق ذلك إلا من خلال التربية والثقافة والتدريب، فإذا وجد الفرد الاقتصادي الإسلامي، ووجد البيت الاقتصادي الإسلامي، ووجد المجتمع الاقتصادي الإسلامي ومنه تخرج قيادات الاقتصاد الإسلامي المسنولة عن التطبيق.

وكان هذا هو منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل إنشاء السوق الإسلامية في المدينة حيث اهتم ببناء المجتمع عقدياً وأخلاقياً، ثم بعد ذلك بنى للمسلمين سوقاً يتعاملون فيها وفق فقه المعاملات. وقام بنفسه بالإشراف على الأسواق ليضمن من سلامة التطبيق، وسار على نهجه الخلفاء الراشدون من بعده.

وتعاني المجتمعات الإسلامية الآن من العديد من المشكلات التي قد تقف حجر عثرة في مجال

تطبيق الاقتصاد الإسلامي منها على سبيل المثال ما يلي:

- جهل معظم الشعوب بالشريعة الإسلامية وبالاقتصاد الإسلامي.

- الانبهار بالفكر الاقتصادي الوضعي سواء كان ليبرالياً أو شيوعياً أو اشتراكياً أو متذبذباً بين هذا أو ذاك.

- تقصير علماء الاقتصاد الإسلامي ودعائه في التوعية عن الاقتصاد الإسلامي من خلال وسائل الإعلام المعاصرة المتاحة.

- انحراف بعض الجماعات والحركات الإسلامية عن الفكر الإسلامي السليم وتشويه صورة الإسلام أمام الناس على اختلاف فئاتهم، وهذا أدى إلى صدود الناس عن قبول كل ما هو إسلامي، وبالتالي رفض المشروع الاقتصادي الإسلامي.

- الإعلام الموجه ضد الإسلام والمسلمين من قبل الأعداء وهذا أدى إلى معوقات لدعوة المجتمع نحو الاقتصاد الإسلامي.

وفي هذا المقام يجب على العلماء والدعاة وأساتذة الاقتصاد الإسلامي بذل الجهود من حيث تنمية الوعي الاقتصادي الإسلامي في المجتمع وذلك من خلال السبل والوسائل المختلفة ومنها ما يلي:-

تطوير المناهج التعليمية بما يخدم قضية تطبيق الاقتصاد الإسلامي.

- تطبيق منهج التدرج والتيسير الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم:، يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا..... (رواه مسلم والبخاري وأحمد).

- تطوير مناهج تنمية وعي المجتمع نحو قبول فكرة تطبيق الاقتصاد الإسلامي في ضوء الأساليب المعاصرة.

- تجنب المسائل الفرعية موضع الخلاف، والبدء في تنمية وعي المجتمع في المسائل الكلية.

وللحديث بقية إن شاء الله. والحمد لله رب العالمين.

عناية صاحب النبوة صلى الله عليه وسلم بتحقيق معاني الأخوة

د. عماد عيسى



العدد ١٠٠

الفتش بوزارة الأوقاف

أبى الدرداء في منزله، فلم أجده ووجدت أم الدرداء، فقالت: أتريد الحج العام، فقلت: نعم، قالت: فاذع الله لنا بخير، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل»، رواه مسلم.

وكذا أعد الابتسامة في وجه الأخ صدقة؛ قال صلى الله عليه وسلم: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة»، ووعد من رد عن عرض أخيه بقوله: «من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة»، رواه أبو داود والترمذي.

وأمر بنصره ظالماً برده عن الظلم ونصره مظلوماً برده حقه عليه فقال صلى الله عليه وسلم: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»، رواه البخاري.

وحرم الثيل من دم الأخ أو من عرضه الأخ أو من ماله فقال صلى الله عليه وسلم: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»، وقال صلى الله عليه وسلم: «فما تلتما من عرض أخيكم أنفاً أشد من أكل منه»، رواه أبو داود.

وقال صلى الله عليه وسلم: «كل مسلم على مسلم محرّم أخوان نصيران»، رواه النسائي.

وجعل المؤمن مرآة أخيه بقوله صلى الله عليه وسلم: «إن أحدكم مرآة أخيه»، رواه الترمذي.

ونهى عن أمور تذكر صفو الأخوة وتمزق حبال الصلة وتقطع عروتها؛ قال صلى الله عليه وسلم: «لا يخاطب أحدكم على خطبة أخيه».

وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم: «لا يسوم الرجل على سوم أخيه»، رواه الترمذي وقال صلى الله عليه وسلم: «ولا يزيدن على بيع أخيه»، رواه البخاري. وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يقيم الرجل أخاه من مجلسه»، رواه البخاري.

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد: كانت عناية نبينا صلى الله عليه وسلم كبيرة بإرساء معاني الأخوة وترسيخ قواعدها وإظهار معالمها في الصحابة رضي الله عنهم، وتكون نافعة للأجيال بعدهم فتعقد الغرى وتشد الأواصر بين المسلمين وتوثق العلائق بينهم.

ومما يدل على ذلك الأحاديث التي جاء فيها ذكر الأخوة، والبحث على مراعاتها، وهي كثيرة؛ منها ما ربط الإيمان وأناط الإسلام بالأخوة كقوله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن أخو المؤمن»، رواه أبو داود.

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، رواه الشيخان.

وقال صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخو المسلم»، رواه الشيخان.

وقال صلى الله عليه وسلم: «وكونوا عباد الله إخواناً»، رواه الشيخان.

وشرف النبي صلى الله عليه وسلم أبى بكر بقوله: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبى بكر خليلاً ولكن أخي وصاحبي»، رواه البخاري، وقال لأبى بكر أيضاً: «أنت أخي في دين الله وكتابه»، وقال له أيضاً صلى الله عليه وسلم: «أنت أخي في الدنيا والآخرة»، رواه الترمذي.

ويشّر من كان في خدمة أخيه بقوله: «ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»، رواه الترمذي، وقال: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»، رواه أبو داود والترمذي.

وجعل المساعدة له صدقة قال صلى الله عليه وسلم: «واطراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة»، رواه الترمذي.

وقال صلى الله عليه وسلم: «من كان عنده خبز فليبعث به إلى أخيه»، رواه ابن ماجه.

وجعل من النفع للأخ الدعاء بظهر الغيب وهو من أعلام المحبة وإعلاماتها القوية فعن صفوان بن عبد الله، وكانت تحته الدرداء، قال: قدمت الشام، فأتيت



وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام» رواه الشيخان.

وقال صلى الله عليه وسلم: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم» رواه مسلم.

ونهى أن تسعى المرأة في طلاق أختها فقال صلى الله عليه وسلم: «ولا تسأل المرأة طلاق أختها» رواه البخاري.

وحدد حقوق وواجبات الأخوة فقال صلى الله عليه وسلم: «للمرء المسلم على أخيه من المعروف ست: يسلم عليه إذا لقىه، ويشمته إذا عطس، ويعفوه إذا مرض، ويحييه إذا دعاه، ويشهده إذا توفى» ويجب له ما يحب لنفسه، وينصح له بالغيب» رواه أحمد.

الأخ الوفي والخليل الصفي والصاحب النجي:

وهو عملة نادرة في زمان التمرّد والكدر والخيانة والمكر والخديعة. قال الله تعالى: «واتبع سبيل من أتاك إلي» وقال أيضاً: «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا» وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي» رواه أبو داود.

وقارب إذا قارب حراً فإنما

يزين وزير بالفتى قرناؤه

إن من نعمة الله على عبده أن يوفقه لصاحب وفي أخ نجي فمن منحه الله صاحباً كريماً وأخاً قوياً فقد أجاد له اختيار الرفيق ورزقه حظه من التوفيق فليتمسك به وليعضض عليه بناجديه ولا يتجاوز فيندم ولا يتخطاه فينلّم ولا يسلم.

ولعل أصدق وصف فيه هو ما ذكره الله سبحانه على لسان موسى الكليم في قوله وهو يسأل ربه سبحانه: «اجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدّ به أزي وأشرّك في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً» (طه، ٣٥-٣٣). وقد أجابه الله بقوله: «سنشدّ عضدك بأخيك وتجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون» (القصص، ٣٥).

خواطر في وصف الأخ الصادق:

لقد ندر هذا الجنس من الناس لأنه مجال ضنك، ومعتك صعب. كم زلت فيه أقدام، وضلت عنده أفهام أقوام، واقتربت بالسالكين الطرقات، وأشرف كثير من الناس على أودية الهلكات، وكأنه بات بحراً تخوضه. وأصبح صعباً تروضه. لا تأمن النجاح والظفر بالمطلوب منه، فانت في ذلك على شك كبير ومنه في ريب قوي.

إن الصاحب الصادق تجده مَجْبُولاً على الخير لا يتصنعه ولا يتطنعه بل هو سجيّة جارية فلا يستطيع أن يتركه ولا يمكن أن يتخلّى عنه لذا تجده في العلاقة وثيق القصب نقي العصب. يجري بأخوته في الصعداء، ويمشي فيها على الاستواء. فليس الذي تجده يُصيب مرة ويخطئ أخرى أو يأتي بما يوافق المروءة حيناً ويقع في ما يخالف المروءة أو ينتقضها حيناً آخر.

إن الأخ الصادق طويل العذار في قبول الأعداء، أمين قليل العثار عند الاستشارة وأخذ القرار، من أئدى الناس راحة (الراحة كف اليد) وأرحبهم ساحة. الأخ الصادق يجمع ولا يشرد، ولا يفرق ولا يتمرد، ولا يطوح به نزع التمرد إلى رمي أصحابه والقدح في الصلحاء منهم والفضلاء.

إن الأخ الصادق طويل العذار في قبول الأعداء، أمين قليل العثار عند الاستشارة وأخذ القرار، من أئدى الناس راحة (الراحة كف اليد) وأرحبهم ساحة. الأخ الصادق يجمع ولا يشرد، ولا يفرق ولا يتمرد، ولا يطوح به نزع التمرد إلى رمي أصحابه والقدح في الصلحاء منهم والفضلاء.

الأخ الصادق مغيث لأخيه ولو كان صاحبه في بحر تجري سفينة راكبه في موج كالجبال. وتسير في معتبرك تتضاءل عنده شجاعة الأبطال، وتتحير فيه عقول الأثياء من الرجال.

الأخ الصادق منة جسيمة وقد يكون مبدأ لمنح كريمة وأساساً لنعم عظيمة.

الأخ الوفي وثيق الصلة كالجبل الممدود والعهد المفهود. واضح سبيله راشد دليله.

الأخ الصادق ناصح أمين يقف معك بعين الانصاف العمريّة عن المجاملة والمخاتلة والمخادعة والانحراف. الصاحب الذين يعينك على أمر دينك فيقلّم معك أظافير الفتن ويقمع عنك نواشب الضلالة ويقطع عن نفسه وعنك نوابت الزيف وما أكثرها في هذا الزمان.

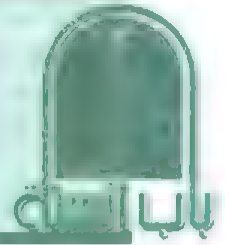
ولهذا تجد أوصافه متعاضدة ومواقفه متناصرة وأحواله متوافرة موصولة غير مغلوطة ومستقرّة لا مضطربة وكلها تصب في معين الخير والبر والإحسان والمروءة. كما قال القائل:

جاءت تهادى مشرفاً ذراها

تحن أولاهها على آخرها

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

من أصول الديانة حفظ الأمانة



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله واله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فقد انقضى شهر القرآن، أفضل شهر على أهل الإيمان، وأشره على أهل النفاق والخسران، ثم انقضى شوال وما فيه من نضحة الأيام الست التي جعل الله صيامها تماماً لصيام الدهر لمن صام رمضان، فالحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، وها هو شهر ذي القعدة: شهر مبارك يقعد المتحاربون فيه عن حربهم استعداداً لحجهم ونسكهم، فهو شهر حرمة الله فزاد تحريم الظلم بتحريمه تحريماً.

الشرح د. مرزوق محمد مرزوق

حصى قد حرجه على رجله) فيضبخ الناس يتبايعون. لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً. حتى يقال للرجل: ما أجلدك ما أظفره ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان.. ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت. لأن كان مسلماً ليردنه علي دينه. ولئن كان نصرانياً أو يهودياً ليردنه علي ساعيه. وأما اليوم فما كنت لأبايع منكم إلا فلانا وفلانا.

التفريع والشرح:

يُنظر مجلة التوحيد عدد رمضان؛ منفاً للتكرار وحفاظاً على وقت إخواننا الأخيار.

من فوائد الحديث استكمالاً لما ذكر في رمضان:

فائدة: أن كل مولود يولد على فطرة الإسلام،

كما قال صلى الله عليه وسلم، (الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال)، وأن الذي يغير هو الذي يخالف الفطرة.

وإن من ظلم الإنسان لنفسه، وما يلقي به حتفه أن يترك محاسبتها، ولنا في محاسبة النفس لتزكيتها ومعرفة الفتق لاجتنابها لنا في ذلك من أسلافنا أسوة.

وكنا قد ابتدأنا في الشهر الكريم شرح حديث حذيفة رضي الله عنه عن الأمانة، ورفعها، فتكلمنا في رمضان عن مطلع الحديث عن الإيمان قبل القرآن، وأن القرآن للمؤمنين نور على نور.

ثم يقدر الله لنا لباقي الحديث التمام:

الحديث:

عَنْ حَذِيفَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ. حَدَّثَنَا أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذَرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ. ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ. فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ.. ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ قَالَ: يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتَقْبِضُ الْأَمَانَةَ مِنْ قَلْبِهِ. فَيُظِلُّ أَثَرَهَا مِثْلَ الْوَكْتِ. ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتَقْبِضُ الْأَمَانَةَ مِنْ قَلْبِهِ. فَيُظِلُّ أَثَرَهَا مِثْلَ الْمَجْلِ. كَجَمْرٍ دَخَرَجَتْهُ عَلَى رِجْلِكَ فَتَنْقُطُ فَتَرَاهُ مُنْتَبِراً وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ (ثُمَّ أَخَذَ

فعلهم. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» (متفق عليه). وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

وقد ذكر العلماء عند قوله تعالى: «يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» (البقرة: ٢٥٧) أنه سبحانه وتعالى جمع الظلمات التي هي طرق الباطل، وأفرد النور فجعله واحداً، وهو طريق الحق، هُذِلَ ذلك أن طرق الباطل كثيرة، وطريق الحق واحدٌ وهو طريق الشرع الذي كان عليه سلفنا الصالح؛ فلا نجاه للعبد إلا بتركه لطرق الباطل، واتِّباع سبيل الحق الأوحد الذي كان عليه رسول الله وأصحابه، فقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي». وفي بعض الروايات: هي الجماعة. رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم. وصححه على شرط مسلم.

هائدة، والحديث دليل من دلائل النبوة:

حيث حدث صلى الله عليه وسلم أصحابه عن رفع الأمانة؛ فأدرك بعض أصحابه رضي الله عنهم شيئاً من ذلك ومنهم حذيفة رضي الله عنه كما في حديث الباب، وأدرك الناس من بعدهم كثيراً من ذلك.

قال ابن بطال رحمه الله: «هذا الحديث من أعلام النبوة؛ لأن فيه الإخبار عن فساد أديان الناس وقلة أمانتهم في آخر الزمان، ولا سبيل إلى معرفة ذلك قبل كونه إلا من طريق الوحي» (شرح البخاري لابن بطال ٣٨/١٠).

وقد تواتر النقل لشكوى السلف من تدهور حال الزمان؛ فقد ذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة (٣/٣٢٧) في ترجمة لبيد

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، وَيُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تَنْتَجِ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةٍ جُمْعَاء. هَلْ تَحْسُون فِيهَا مِنْ جَدْعَاء؟ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَاقْرَعُوا إِن شِئْتُمْ، «فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ» (سورة الروم آية ٣٠). (صحيح مسلم/ كتاب القدر رقم: ٤٨٠٩).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومثل الفطرة مع الحق مثل ضوء العين مع الشمس، وكل ذي عين لو ترك بغير حجاب لرأى الشمس، والاعتقادات الباطلة العارضة من تهوّد وتنصر وتمجّس مثل حجاب يحول بين البصر ورؤية الشمس، وكذلك أيضاً كل ذي حسن سليم يحب الحلو إلا أن يعرض في الطبيعة فساد يحرفه حتى يجعل الحلو في فمه مرّاً، ولا يلزم من كونهم مولودين على الفطرة أن يكونوا حين الولادة معتقدين للإسلام بالعقل. فإن الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئاً، ولكن سلامة القلب وقبوله وإرادته للحق الذي هو الإسلام بحيث لو ترك من غير مغير لما كان إلا مسلماً، وهذه القوة العلمية العملية التي تقتضي بذاتها الإسلام ما لم يمنعها مانع.. هي فطرة الله التي فطر الناس عليها.. انتهى. (مجموع الفتاوى ٤/٢٤٧).

هائدة، لا دين إلا ما دل عليه الكتاب والسنة:

فالدين كما أنه فطرة هو مستمد كذلك من الكتاب والسنة، ولا دين إلا بذلك؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ. فَقُلُّوا مِنَ الْقُرْآنِ وَعَلِّمُوا مِنَ السُّنَّةِ».

وعليه فكل ادعاء لدين بعيد عن الكتاب والسنة باطل. وهذا ردٌّ على كثير من القائلين الذين ينحرفون عن دين الإسلام بأهوائهم بعيداً عن الدليل الشرعي مهما حسن ظاهر

على طاعتك) وكما ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: (اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد). (السلسلة الصحيحة)

وكذلك الخليل إبراهيم كما قال الله «وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا» (النساء: ١٢٥) لا يامن على نفسه فيدعو (رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) (إبراهيم: ٣٥) فمع منزلة سيدنا إبراهيم عليه السلام والذي كان أمة، والذي قاوم الشرك وكسر الأصنام بيده حتى ألقى في النار، مع ذلك يخاف على نفسه من الوقوع في الشرك؛ إذ القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، لذا قال بعض السلف: «ومن يامن البلاء بعد إبراهيم؟» الذي خاف على نفسه الوقوع في الشرك؛ فإلهم سلم.

فائدة: غربة الدين؛

ومن ذلك ما كان من ارتفاع الأمانة من القلوب حتى لا يبقى من أهل الأمانة إلا رجال معدودون، ولا شك أن فقدان خلق الأمانة دليل على فساد الزمان؛ لأن كثيراً من الحقوق التي لله تعالى والتي للناس متعلقة بالأمانة.

وقد أرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك كما ورد عن جمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ - غريباً، فطوبى للغريباء».

ولهذا جاء في أحاديث متعددة مدح المتمسك بدينه في آخر الزمان، وأنه كالثياب على الجمر، وأن للعامل منهم أجر خمسين ممن قبلهم؛ لأنهم لا يجدون أصواتاً على الخير.

وفي هذا القدر كفاية، والحمد لله رب العالمين.

بن ربيعة) أن ابن منده (ت ٣٩٥) وسعدان بن نصر (ت ٢٩٥) أخرجا من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: رحم الله لبيداً إذ يقول:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم

وبقيت في خلف كجلد الأجر

قالت عائشة: كيف لو أدرك زماننا هذا؟ ولهذا قال عروة: رحم الله عائشة، كيف لو أدركت زماننا هذا؟ ثم قال الحافظ ابن حجر: واتصلت السلسلة (أي قولهم: رحم الله فلاناً، فكيف لو أدرك زماننا؟) هكذا إلى سعدان، وإلى ابن منده. انتهى، وإذا كان الأمر كذلك فهل لأماننا أن يقول فكيف لو أدرك أسلافنا زماننا؟

فائدة: عدم الاغترار بالظاهر؛

فقد ذم الحديث اغترار بعض الناس بالمظاهر الخارجية في حكمهم وثنائهم على الآخرين، مع ضعف حقيقتهم في الإيمان والأمانة والصلاح والإحسان، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدُ! مَا أَظْفَرُ! مَا أَغْلَقَ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خُرْدٍ مِنْ إِيْمَانٍ».

وفي ذلك توجيه للناية بالجوهر؛ إذ الإسلام مظهر وجوهر، وكلاهما مهم، لكن الحديث ذم من اعتنى بالظاهر فقط، فتظاهر بالعقل والجلد والظرف، وترك الباطن الذي أساسه استقامة القلب (وليس في قلبه مثقال حبة خرد من إيمان).

فائدة: الافتقار إلى الرب في تعهد القلب؛

ففيه إرشاد أن يتعهد الإنسان قلبه خوفاً عليه إذ قد (يتنام الرجل النومة فتتزع الأمانة من قلبه)، والتعهد هدي الصالحين؛ إذ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد الصالحين المصطفى من رب العالمين يخاف على نفسه فيدعو كما ثبت في صحيح مسلم: (اللهم يا مصرف القلوب صرف قلبي

مسائل الدين وصلتها بالخلاف

العدد ١٢٣٩

د. د. أحمد منصور سبلك

إهداء

في سلفنا الصالح. ويشأ الآن عليها الصغار الولاء والبراء. ولهذا وجدنا في مقدمات كتب الخلاف قوله تكررت كثيراً، مراعاة الخلاف مسلک العلماء.

فاحرص- إن لم تكن منهم- أن تكون ممن يلحقون بدربهم، ونستطيع أن نجزم بأن كل من لم يسلك مسلک أهل العلم سلفاً في هذا العلم يساعد على انتشار الآثار السلبية التي تنبع من الخلاف، والتي منها:

ضعف الأمة في جميع جوانبها العقيدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والسلوكية، ونشاهد هذا كثيراً الآن في غالب بلاد المسلمين.

مما يساعد إلى تفرق هذه الأمة الواحدة، والتي الأصل فيها أن تكون في دولة واحدة- إلى دويلات كل منها زعيم، وإلى طوائف وأحزاب لكل منها رئيس، تختص كل مجموعة بأرض وسياسية وتنتهج غير إسلامي تقريباً، إلا من رحم ربي.

ثم يجر ذلك إلى استهداف المسلمين في عقائدهم وشوايتهم الدينية، فيتكلم اللطع ابن اللطع في أمور تهتز لها الجبال ولا يتحرك لساكن رمش عين.

وينتج من ذلك الموالاة لأعداء الله تعالى وأعداء دينه داخل المجتمع المسلم، مما يسهل على الأعداء التخطيط لضرب الأمة وضرب دينها.

ومن الآثار السلبية أيضاً عند عدم مراعاة الخلاف: اشاعة المفاهيم الخاطئة عن دين الله تعالى وعن أهله، كما ذكرت انفاً قولني عن شيخ الإسلام بأنه: الإمام المظلوم.

نقلنا عنه أقوالاً لم نفهمها تارة، أو اجتزأناها تارة أخرى، ففهمنا من يسمعه منا على غير مراد شيخ الإسلام، وفي النهاية يقول شيخ الإسلام، يقول: «فظلم الإسلام ظلماً بيناً، فلا يكاد يفهم كلامه إلا قلة». ومن الآثار السلبية عن وجود كل هذا نجد الاتاحة التامة لأصحاب الرذيلة في إشاعة بضاعتهم في المسلمين: لا يوجد من يتصدى لهم، أو من يتصدى لهم شغل نفسه بالرد على أخيه وتبديعه وتفسيره، وترك أهل الانحلال على ما هم عليه، ومن تمسك زوراً وبهتاناً بدين الله منهم بدأ في إثارة الشعوب على حكاهم لزيادة البلبلة وعدم الاستقرار، وبث روح التمرد في كل شرائع المجتمع: الابن ضد أبيه، والزوجة ضد زوجها، والأقلية ضد الأكثرية، وإثارة الفتن والطائفية في المجتمع، واختلاف الناس على علمائهم... إلخ.

فلا بد أيها القارئ أن نلتفت إلى هذا الأمر جيداً، ونستمسك بديننا ونفهمه فهماً صحيحاً، كما فهمه صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم جميعاً، حتى ننجوا من هلاك محقق ببعدها عن هذا المنهج القويم. إن لقاء قادم إن شاء الله.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد،

كما ذكرنا في المقال السابق أنه بقي لنا محوران في حديثنا الذي بدأناه هذا العام على منظومة الخلاف.

المحور التاسع وهو: الآثار المترتبة على الخلاف.

والمحور العاشر والأخير: ضوابط التعامل مع المخالف.

وسيدور حول الله تعالى وقدرته ومنه وكرمه الكلام هذه المرة حول محور: الآثار المترتبة على الخلاف.

ولما نظرت في هذا المحور وجدت أن هذا المحور ينقسم إلى قسمين:

الأول: الآثار الإيجابية للخلاف.

الثاني: الآثار السلبية للخلاف.

فأما القسم الأول سنبدأ به كلامنا ونقول أولاً: معلوم أن الأمر تبع ما ترتب على وجود الشيء، ومنه قوله تعالى في الكهف: «فارتدأ على آثارهما قصصاً» (الكهف: ٦٤).

فالغاية من تحديد الآثار المترتبة على الخلاف هو ما يترتب على هذا الخلاف. وما يكون. وهذا الذي ينقسم على إيجابي وسليبي، أي: آثار إيجابية، وآثار سلبية.

فإذا تكلمنا أولاً على الآثار الإيجابية يكون من الجدير بالذكر أن كل الآثار الإيجابية يمكن جمعها في أثر واحد، وهو: مراعاة

الخلاف.

وعندما نتحدث عن مراعاة الخلاف، يجب أن نعلم أن في طبقات هذا العنوان أموراً كثيرة جداً منها على سبيل المثال: قبول

الخلاف، وقبول المخالف، واعتباره في دائرة الشرع الحنيف، والأهم الآن: قبول صاحبه.

ولو تذكر أيها القارئ الكريم في أول مقالة في هذا الباب أخبرتك بأن علم الخلاف ينشأ المحبة، إن تقبل من تخالفه وقبلك من أنت مخالف له تكون أخوة في الله متحابين.

وهذا قد يزيل اللبس عند الاستقراب الذي ينشأ من البعض عندما يعلم بالخلاف بين الموجود بين مالكي وشافعي أو حنبلي وحنبلي، أو ما شابه ذلك. ويجد كل منهما مع الآخر في الفة ومحبة.

وإذا قرأت في سيرة الإمام المظلوم- هكذا أطلق عليه دانما- شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حيث تجده رحمه الله رفيقاً بمخالفه محباً لهم، وحكي مثل ذلك عنه تلاميذه مثل ابن القيم، وابن عبد الهادي، والبراز، وغيرهم كثير.

لكن كونك تختلف مع أخيك فتهرب الولاء والبراء في مسائل لا يكون هذا مناسباً لها، هذا ابتداء في دين الله تعالى لم يكن عليه سلف الأمة.

وبهذا تكون جمدت مرناً وضيقاً واسعاً على عباد الله تعالى، فلأسف نرى صفاراً ممن ينتسبون للعلم يفعلون ذلك كثيراً.

مسائل سانغ فيها الخلاف ومقبول فيها، ووسع أئمة كبار من قبل

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار



الحلقة (٧٠)

علي خشش

٦٦٦- «إن آدم أتى البيت ألف آتية، ثم يركب قط فيهن من الهند على رجله ..»

الحديث لا يصح: أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (٢٧٩٢) من حديث القاسم بن عبد الرحمن عن أبي حازم، وهو نبيل مولى ابن عباس، عن ابن عباس مرفوعاً، وقال: «في القلب من القاسم بن عبد الرحمن شيء .. اهـ». قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٦٨٢٠/٣٧٤/٣): «القاسم بن عبد الرحمن الأنصاري، قال ابن معين: ضعيف الحديث جداً .. اهـ».

وأورد الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٥٤١/٤) (٦٦٣٨/٢١) له هذا الحديث، ونقل كلام الإمام ابن خزيمة وأقره، وقال الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (١٦٧/٢): «القاسم هذا واه .. اهـ».

٦٦٧- «من مات في طريق مكة ذاهباً أو راجعاً لم يفرض ولم يحاسب ..»

الحديث لا يصح: أخرجه الحارث بن أبي أسامة (١٨٦ - ٢٨٢ هـ) في «مسنده» كما في «زوائد مسند الحارث» (٤٣٦/١) - ص الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: حديث (٣٥٣)، والحافظ الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٨/٢) (ح ١٠٦٣) من حديث جابر، وعلمته إسحاق بن بشر الكاهلي عن أبي معشر أورد الإمام الذهبي في «الميزان» (٧٤٠/١٨٦/١)، ونقل عن مطين أنه قال: ما سمعت أبا بكر بن أبي شيبة كذب أحداً إلا إسحاق بن بشر الكاهلي، وكذلك كذبه موسى بن هارون وأبو زرعة، وقال الفلاس وغيره: متروك، وقال الدارقطني: «هو في عداد من يضع الحديث .. اهـ» قال الحديث «موضوع».

فائدة: وحتى لا يتقوّل من لا دراية له بالصناعة الحديثية، ويقول: إن للحديث طريقاً آخر، فهذا الطريق تألف أخرجه الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٤٤٧/٤١٠/٣) من حديث عائشة، وعلمته عائذ بن نسير، قال العقيلي: منكر الحديث. وأخرجه أيضاً الإمام ابن عدي في «الكامل» (٣٥٤/٥) (١٥١٣/٥٤٥) في عدة أحاديث مناكير، وقال: «هذه الأحاديث لا يرونها غير عائذ عن عطاء وعن عائذ يحيى بن يمان، وضعفه ابن معين، وقال: روى أحاديث مناكير كذا في «اللسان» (٢٨٥/٣) (٤٣٨٧/٣٦)، وقال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (١٩٤/٢): «كثير الخطأ بطل الاحتجاج مما انفرد ..».

٦٦٨- «من طاف بالبيت أسبوعاً حافياً حاسراً كان له كعتق رقبة، ومن طاف أسبوعاً في المطر غُفر له ما سلف من ذنبه .. ومعني أسبوع: أي سبعة أشواط».

الحديث لا يصح: أورد أبو حامد الفزالي في «الإحياء» (٢٤١/١)، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «حديث من طاف بالبيت أسبوعاً حافياً ... لم أجده .. اهـ».

٦٦٩- «من طاف بالكعبة في يومٍ مطرٍ كُتب له بكل قطرة تصيبه حسنة ومحي عنه بالآخرى سيئة ..»

الحديث لا يصح؛ أخرجه الفاكهي المتوفى (٢٧٢هـ) في «أخبار مكة» (٢٥٠/١) (ج٤٧٩) من حديث عبد الرحمن بن زيد العمي عن أبيه، عن التابعين رفعوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والحديث مردود بالطنن في الراوي والسقط في الإسناد. أما عن الطعن في الراوي ففيه عبد الرحيم بن زيد أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٥٠٣٠/٦٠٥/٢). وقال: «عبد الرحيم بن زيد بن الحواري العمي عن أبيه وغيره، قال البخاري: تركوه، وقال يحيى: كذاب». وقال مرة: ليس بشيء. وقال الجوزجاني: غير ثقة. وقال أبو حاتم: تركوا حديثه. وقال أبو زرعة: واه. اهـ. قوله في السند: «عن التابعين رفعوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم». قصة إيهام لاسم التابعين ومن أبهم اسمه جهلت عدالته فردت روايته، قال البيهقي في «منظومته»: «ومبهم ما فيه راوٍ لم يُسم». اهـ. والحديث فيه سقط في الإسناد. حيث إن الحديث مرسل. «فقد سقط من آخر إسناده من بعد التابعين». فكيف والتابعي مبهم. فالحديث من وضع كذاب واه متروك غير ثقة.

٦٧٠- قال الله تعالى: «إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَخْرِبَ الدُّنْيَا بَدَأْتُ بِبَيْتِي فَخَرَّزْتُهُ، ثُمَّ أَخْرِبُ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ».

الحديث لا يصح؛ أورده الفزالي في «الإحياء» (٢٤١/١) مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم عن رب العزة بصيغة الجزم. وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «ليس له أصل».

٦٧١- «مَنْ طَافَ أَسْبُوعًا حَالِيًا كَانَ كَمَتَّقٍ رَقِيبَةً».

الحديث لا يصح؛ أورده الإمام الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة»، من كتاب «الحج» (ج١) وقال: «ولا عبرة بكون مثل هذه الأحاديث في «الإحياء»، فهو لا يتميز بين الصحيح والموضوع». اهـ.

٦٧٢- «لَا تَذْكُرُونِي عِنْدَ ثَلَاثَ: تَسْمِيَةِ الطَّعَامِ، وَعِنْدَ الدُّبُحِ، وَعِنْدَ الْفُطَاسِ».

الحديث لا يصح؛ أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤٨١/٩) (ج١٩٠٨) من حديث عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه مرفوعاً، وعلته عبد الرحيم بن زيد العمي، وهو كما بينا أنفاً كذاب واه متروك. وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٦١/٢): «يروى عن أبيه العجائب لا يشك من الحديث صناعته أنها معمولة أو مقلوبة كلها». اهـ. ومع هذا الطعن ففي الإسناد سقط، حيث رفعه أبوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

٦٧٣- «إِذَا خَرَجَ الْحَاجُّ مِنْ بَيْتِهِ فَسَارَ ثَلَاثًا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَكَانَ سَائِرَ أَيَّامِهِ دَرَجَاتٍ».

الحديث لا يصح؛ أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس»، كما في «الفرائب»، الملتقطة من مسند الفردوس (ص٣٣٨)، من حديث عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه، عن تسعة أو ثمانية أخبروه عن أبي ذر مرفوعاً، وعلته عبد الرحيم بن زيد، وهو كما بينا أنفاً، أنه كذاب واه متروك غير ثقة.

٦٧٤- «الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ».

الحديث لا يصح؛ ذكره الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ج٤٩٧) وقال: «لم أقف عليه مع إيراد الفزالي له في «الإحياء». قلت: أورده الفزالي في «الإحياء» (١٩/٤) مرفوعاً بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجده بهذا اللفظ مرفوعاً». اهـ.

باب الطهارة

د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

وعزفه الحنابلة بأنه، دم يرغبه الرحم مع ولادة وقبلها بيومين أو ثلاثة مع أمانة ويعدها إلى تمام أربعين يوماً. كشاف القناع (٢١٨/١).

ثانياً، مدة النفاس،

ورد في مدة النفاس حديث اختلف في تصحيحه وهو حديث مُسْنَد عن أم سلمة قالت، «كَانَتْ النِّفَاسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقَعُدُ بِفَتْةٍ نَفَاسَهَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَكُنَّا نَطْلِي عَلَى وَجْهِهَا الْوَرَسَ يَغْنِي مِنْ الْكَفِّ، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٣١١)، وَابْنُ مَاجَه (٦٤٨) وَالتِّرْمِذِيُّ (١٣٩).

وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال، «تَنْتَظِرُ النِّفَاسَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ نَحْوَهَا»، سنن الدارمي (٩٥٤).

اختلف العلماء في أكثر مدة للنفاس؛ فذهب فريق إلى أن أكثر مدة للنفاس أربعين يوماً مستثنين بحديث مُسْنَد، وذهب آخرون إلى عدم تحديد أكثر مدة للنفاس فيرجع الأمر للعادة.

ذكر أقوال أهل العلم في المسألة،

أولاً، من قال أكثر مدة للنفاس أربعين يوماً؛ جاء في نيل الأوطار (٣٥٢/١)، بعد أن ذكر حديث مُسْنَد والخلاف في تصحيحه قال، والأدلة الدالة على أن أكثر النفاس أربعين يوماً متعاضدة بالغة إلى حد الصلاحية والاعتبار،

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما بعد،

فقد انتهينا بفضل الله تعالى من الأحكام المتعلقة بالحيض، ونشر في هذه الحلقة بإذن الله تعالى في بيان الأحكام المتعلقة بالنفاس، ولما كان أكثر الأحكام المتعلقة بالنفاس هي نفس أحكام الحيض فساقصر على بيان الأحكام الخاصة بالنفاس؛ سائلة المولى عز وجل أن ينفع بها، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم إنه قريب مجيب الدعاء.

أولاً، تعريف النفاس،

نفية: النفاس بالكسر، ولادة المرأة، مأخوذ من النفس وهو الدم، ومنه قولهم لا نفس له سائلة أي لا دم له يجري. لسان العرب (٢٣٨/٦)، تاج العروس (٥٦٧/١٦)، المصباح المنير (٦١٧/٢). وفي الشرع،

عزفه الحنفية بأنه، الدم الخارج عقيب الولادة. المبسوط للسرخسي (٢١٠/٣).

وعزفه المالكية بأنه، دم أو صفرة أو كدرة خرج من القبل للولادة، معها أو بعدها لا قبلها على الأرجح. الشرح الكبير (١٧٤/١).

وعزفه الشافعية بأنه، الدم الخارج بعد فراغ الرحم من الحمل، فخرج بما ذكر دم الطلق، والخارج مع الولد؛ لأن ذلك من آثار الولادة، ولا نفاس يتقدمه على خروج الولد بل ذلك دم فساد. مقني المحتاج (٢٧٧/١).

فالمصير إليها متعين، فالواجب على النفساء وقوف أربعين يوماً إلا أن ترى الطهر قبل ذلك؛ كما دلت على ذلك الأحاديث السابقة.

وجاء في عون المعبود (٣٤٦/١)، قال الترمذي في جامعه، وقد أجمع أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين ومن بعدهم على أن النفساء تدع الصلاة أربعين يوماً إلا أن ترى الطهر قبل ذلك فإنها تغتسل وتصلي؛ فإن رأت الدم بعد الأربعين، فإن أكثر أهل العلم قالوا، لا تدع الصلاة بعد الأربعين وهو قول أكثر الفقهاء. وبه قال سفيان الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق.

وجاء في المغني (٢٥٢/١) بعد أن أورد بعض أقوال أهل العلم، قال، ولنا ما روى أبو سهل كثير بن زياد، عن مُسَه، وذكر الحديث. ثم قال، فإن زاد دم النفساء على أربعين يوماً فصادف عادة الحيض فهو حيض وإن لم يصادف عادة فهو استحاضة.

قال المباركفوري في تحفة الأحوذى (٣٦٥/١)، بعد أن ذكر أقوال العلماء والخلاف في مدة النفاس قال، ثم أجد على هذه الأقوال دليلاً من السنة فالقول الراجح المعول عليه هو ما قال به أكثر الفقهاء. والله أعلم.

ثانياً، من قال ليس للنفاس مدة معينة؛

قال ابن حزم في المحلى (٤١٤/١)، بعد أن ضعف حديث مُسَه، قال، فلما لم يأت في أكثر مدة للنفاس نص قرآن ولا سنة، وكان الله تعالى قد فرض عليها الصلاة والصيام بيقين، وأباح وطأها لزوجها، لم يجر لها أن تمتنع من ذلك إلا حيث تمتنع بدم الحيض؛ لأنه دم حيض.

جاء في الشرح الممتع (٤٤٦/١)، قال، والذي يترجح عندي، أن الدم إذا كان مستمراً على وتيرة واحدة، فإنها تبقى إلى تمام ستين، ولا تتجاوز.

وفي المدونة الكبرى (١٥٣/١)، قال ابن القاسم، كان مالك يقول في النفساء، أقصى ما يمسكها الدم ستون يوماً، ثم رجع عن ذلك آخر ما لقيناه، فقال، أرى أن يسأل عن ذلك النساء، وأهل المعرفة فتجلس أبعد ذلك.

وقال مالك في النفساء، متى ما رأت الطهر بعد الولادة وإن قرب فإنها تغتسل وتصلي؛ فإن رأت بعد ذلك بيوم أو يومين أو ثلاثة أو نحو ذلك دماً مما هو قريب من دم النفاس كان مضافاً إلى دم النفاس.

تعقيب وترجيح؛

اتفق أهل العلم على أن المرأة النفساء إذا رأت علامة الطهر قبل أربعين يوماً، فإنها تغتسل وتصلي.

واختلفوا في أكثر مدة للنفاس؛ فالراجح عندي قول من ذهب من أهل العلم إلى أنه ليس للنفاس مدة محددة، وذلك لأنه لم يرد دليل صحيح صريح في تحديد أكثر مدة للنفاس، وأثر ابن عباس إنما يدل على الغالب على أحوال الناس، وليس يدل قطعياً على أن مدة النفاس أربعين يوماً، ويؤكد ذلك أن العلماء اتفقوا على أنها إذا رأت علامة الطهر قبل ذلك، فعليها أن تغتسل وتصلي، فهذا دليل على أن النفاس قد يكون أقل من أربعين يوماً، وأيضاً قد يكون أكثر من ذلك، وهذا ما ذهب إليه الإمامان، مالك وابن حزم، وهو قول في مذهب أحمد وغيرهم، والله تعالى أعلم وأحكم.

مسألة، هل كل وضع يثبت به النفاس؟

لا يخلو هذا من أحوال؛

الأول، أن تضع المرأة نطفة (أربعون يوماً)؛ فهذا ليس بحيض ولا نفاس بالاتفاق.

الثاني، أن تضع ما تم له أربعة أشهر، ويخرج معه دم، فهذا نفاس قولاً واحداً، لأنه نفخت فيه الروح وتيقنا أنه بشر.

لحديث ابن مسعود، وفيه أنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح...» أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

الثالث، أن تضع علقة، وقد اختلف الفقهاء في ذلك.

فالمشهور من مذهب الإمام أحمد أنه ليس بحيض ولا نفاس، ولو رأت الدم، وهذا يسمى



عند العلماء السقط، وعند العامة العوار.

وقال بعض أهل العلم: إنه نفاس؛ وعللوا أن الماء الذي هو النطفة انقلب من حاله إلى أصل الإنسان، وهو الدم فتيقنا أن هذا النازل إنسان. الرابع: أن تضع مضغة غير مخلقة، فالمشهور من مذهب الإمام أحمد أنه ليس بنفاس، ولو رأت الدم؛ لأنه إذا سقط، ولم يخلق يحتمل أن يكون دمًا متجمدًا أو قطعة لحم ليس أصلها الإنسان، ومع الاحتمال لا يكون نفاسًا؛ لأن النفاس له أحكام، منها إسقاط الصلاة والصوم ومنع زوجها منها، فلا ترفع هذه الأشياء إلا بشيء متيقن، ولا تتيقن حتى تتبين فيه خلق الإنسان.

وقال بعض أهل العلم: إنه نفاس.

وعللوا أن الدم يجوز أن يفسد، ولا ينشأ منه إنسان، فإذا صار إلى مضغة لحم فقد تيقنا أنه إنسان قدمها دم نفاس.

الخامس: أن تضع مضغة مخلقة، فأكثر أهل العلم وهو المشهور من مذهب الإمام أحمد أنها إذا وضعت مضغة مخلقة بأن بان رأسه ويدها ورجلاه أنه نفاس.

وأقل مدة يتبين فيها خلق الإنسان واحد وثمانون يومًا لحديث ابن مسعود رضي الله عنه وفيه «أزيعن يومًا نطفة ثم علقه مثل ذلك، تقدم تخريجه.

وإذا سقط لأقل من ثمانين يومًا، فلا نفاس والدم حكمه حكم سلس البول.

وإذا ولدت لواحد وثمانين يومًا، فيجب التثبيت، هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟ لأن الله قسم المضغة إلى مخلقة وغير مخلقة بقوله: «ثُمَّ مِنْ مَّضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ، (الحج، ٥)؛ فجازز ألا تخلق، والغالب أنه إذا تم للحمل تسعون يومًا تبين فيه خلق الإنسان، وعلى هذا إذا وضعت لتسعين يومًا فهو نفاس على الغالب، وما بعد التسعين يتأكد أنه ولد، وأنه نفاس، وما قبل التسعين يحتاج إلى تثبيت؛ لأنها لا تكون مضغة إلا بعد الثمانين، والمضغة قسمها الله إلى مخلقة وغير مخلقة.

أقوال أهل العلم في المسألة؛

قال السرخسي في المبسوط (٢/٢١٣): فاما إذا أسقطت سقطًا، فإن كان قد استبان شيء من خلقه فهي نفاس فيما ترى من الدم بعد ذلك، وإن لم يستبين شيء من خلقه فلا نفاس لها، ولكن إن أمكن جعل المرئي من الدم حيضًا يجعل حيضًا، وإن لم يمكن بأن لم يتقدمه طهر تام فهو استحاضة.

وقال أيضًا في (٢٦/٦): وكل سقط لم يستبين شيء من خلقه لا تنقضي به العدة لأنه ليس له حكم الولد بل هو كالدّم المتجمد.

قال المواق المالكي في التاج والإكليل (٥/٤٨٦): لا عدة لكل حامل غير الوضع، والسقط التام والمضغة من الولد في ذلك سواء.

قال الماوردي في الحاوي الكبير (١/٤٣٧): لا يخلو حال المرأة في ولادتها من أحد أمرين: إما أن تضع ما فيه خلق مصور أم لا، فإن لم يكن فيما وضعت خلق مصور لا جلي ولا خفي، كالعلق والمضغة التي لا تصير بها أم ولد، ولا تجب فيها عدة لم يكن الدم الخارج معه نفاسًا، وكان دم استحاضة أو حيض على حسب حاله؛ لأنه لما لم يحكم لما وضعت حكم الولد فيما سوى النفاس، فكذلك في النفاس.

وقال أيضًا في (١١/١٩٧): وإن كانت مضغة فلها ثلاثة أحوال،

أحدها: أن يظهر فيه بعض الأعضاء من عين، أو أصبع، أو تبين فيه أوائل التخطيط وأوائل الصورة فتتعلق فيه الأحكام.

قال ابن قدامة في المغني (١/٢٥٣): إذا رأت المرأة الدم بعد وضع شيء يتبين فيه خلق الإنسان، فهو نفاس. نص عليه. وإن رآته بعد إلقاء نطفة أو علقه، فليس بنفاس.

قال المرداوي في الإنصاف (١/٣٨٧): يثبت حكم النفاس بوضع شيء فيه خلق الإنسان، على الصحيح من المذهب، ونص عليه.... وأقل ما يتبين به الولد، واحد وثمانون يومًا. فلو وضعت علقه أو مضغة لا تخطيط فيها، لم يثبت لها بذلك حكم النفاس، نص عليه.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



الحمد لله، الحمد لله حمد الشاكر، سبحانه ويحمده، لا يخضر نعمه حاصر، خيزه فائض، وانعامه وافز. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدخرها ذخراً لليوم الآخر. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله، خير حامد وأفضل ذاكر، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الأقر الميامين، كلهم لدين الله ناصر، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسلم التسليم المزيد والمتكاثر.

اعداد الشيخ د. صالح بن عبد الله بن حميد

امام المسند الغرام

بقناعاته، كبيراً بتواضعه، عظيمًا بحسن أخلاقه، (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ ثَمَرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) (ص: ٨٦).

معاشر المسلمين: داء عضال، وخطر داهم يقضي على معاني الإنسانية، داء يصيب الفرد والأمة والمجتمع حينما يستفحل ويتفشى فإنه يفتك في الناس فتكاً، داء إذا دُرِّقَ قرنه فإنه لا يفرق بين متعلم وغير متعلم، ومتحضر وغير متحضر، ومتدين وغير متدين، هو أحد مصادر الفرو، ومنايع الظلم، وأسباب الكراهية، وطرق الفساد والإفساد، ذلك

أما بعد، فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله -رحمكم الله-، ولا تكونوا من المتكلفين، فمن التكلف -حفظكم الله- التكلم بغير علم، ومنازعة المرء من فوقه، والدخول فيما لا يعنيه، ومن دخل فيما لا يعنيه فقي ما لا يرضيه. ومن علامة إغراض الله عن العبد: أن يشغله فيما لا يعنيه، واختلاف المسلم مع صاحبه لا يُبيح عرضه، ولا يحل غيبته، ولا يُجيز قطيعته، وقد قال العقلاء: «إن الأراء للعرض لا للعرض، ووجهة نظر للإعلام لا للإنزام».

وفرّق الحكماء بين أدب الخلاف وخلاف الأدب، فالسعيد يا عبد الله من كان غنيا



يا عباد الله هو التعصب والعصبية، وكل ذلك دعوى الجاهلية وحمية الجاهلية.

التعصب غلو وتطرف وكراهية وفرقة وضلال وشحناء، انقياد عاطفي مقيت لتصورات ومفاهيم ومسالك تتعارض مع الحق والعدل والموضوعية، التعصب حماس أعمى ومشاعر جارفة وأحكام مسبقة واستهانة بالآخرين، التعصب خضوع مطلق وسير من غير بصيرة مع الجماعة أو الفئة أو الحزب، أو القبيلة أو الطائفة أو العرق. التعصب غلو في التعلق بالأشخاص، والتمسك بالأفكار والإصرار على المبادئ، لا يدع مكاناً للتسامح، ولا مجالاً للتفاهم، ولا فرصة للقبول، التعصب ينطلق من تصورات مسبقة في تصنيف الناس والمجتمعات إلى: فئات دينية، وعرقية، ومذهبية، وقبلية، وسياسية، وفكرية، ومناطقية، ورياضية، وغيرها.

معاشر المسلمين: حقيقة التعصب هو: عدم قبول الحق ممن جاء به، مع ظهور دليله بسبب ما في النفس من أغراض وأهواء وانحياز، التعصب دفاع بالباطل حينما يرى المتعصب أنه هو الذي على الحق دائماً بلا حجة وبلا برهان، وغيره هو المخطئ دائماً، وهو الذي على الباطل دائماً، ولو كان معه الحجة والبرهان، والعناد والانغلاق والتحجر وعدم التوافق ورفض التعايش كلها أنواع من التعصب، وكلها تمد صاحبها بأسباب الكراهية والشحناء وتفوت فرص الاجتماع والتألف وحل المشكلات والبناء والتعاون، والتعصب لا يجتمع مع التسامح والانفتاح وقبول الآخر.

معاشر الأحبة: التعصب والعصبية داء هتاك يقود إلى اللجاجة والتقليد الأعمى ويولد حجاباً غليظاً يصد عن

قبول الحق وقبول الجديد المفيد ويجعل القبيح حسناً ويقلب الحسن قبيحاً، وقد قال بعض الحكماء: «التعصب عدو مستتر لم يدرك كثير من الناس خطورته الماحقة وآثاره المدمرة».

العصبية نعمة مهلكة تنمو في النفس البشرية في البيئة التي تحتضنها، يتربى عليها الصغير، ويهرم فيها الكبير، رجالاً ونساءً، تمزق العلاقات الاجتماعية وتسلب روح الوحدة والألفة وتنتشر بذور النفاق والفرقة وتبدد الطاقات وتضعف القوى وتهدم البناء، وهل رأيت أعظم من متعصب يرى شرار قومه خيراً من خيار الآخرين؟

التعصب يورث التمييز والانحياز والتصنيف ويبني حجاباً كثيفاً على العقل والبصر، ويمنع من إدراك الحق وابتغائه والتمييز بين المصلحة والمفسدة.

معاشر المسلمين: وللتعصب مظاهر منها: احتقار الآخرين، وتنقصهم، وعدم الاعتراف بأحقيتهم وحقوقهم، ومن أظهر مظاهر التعصب تقديم الولاءات على الكفاءات، وقد يظهر التعصب في سوء القول والتعبير، وقد يترقى إلى تجنب التعامل مع من يتعصب ضده ثم يترقى هذا المتعصب إلى أن يمنع جماعته وفئته من التعامل مع هذا المخالف، وقد يترقى إلى الاعتداء عليه، وقد يصل إلى قتله والتخلص منه عياداً بالله.

عباد الله: وكم أثار التمرات العصبية من حزازات سياسية بشعارات عقائدية وتترست بندايات دينية فأنبتت فرقة وتحزباً وتشردماً، وكم أدى التعصب في درجات شديدة إلى التمييز والتصنيف والعدوان والقتل، وقد يصل إلى الإبادة الجماعية عياداً بالله، كما يؤدي إلى التشريد والتهجير والنفي، التعصب

يقود التشويه وإساءة التفسير وتجاهل الحقائق والوقائع.

أيها الإخوة: إن أضرار التعصب وخسائره ومساوئه قد سؤدت صحائف التاريخ، وكم واجه الأنبياء-عليهم السلام- والمصلحون من عوائق في طريق هداية الناس، وإصلاح البشرية، وقائد ذلك ورائده التعصب، وقد قال إمامهم ورائدهم إلى النار: **(مَا أَرَيْكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)** (غافر: ٢٩)، بسبب التعصب سفكت الدماء، وضاعت الحقوق، وفشا الظلم، في التعصب هدر لطاقت الأمة عجيبة، بل هو من أعظم معوقات التنمية؛ فإذا دخلت العصبية خطط التنمية فقل، على أهلها السلام، وسواء في ذلك الاقتصادية، أو السياسية، أو التعليمية، أو الإدارية، أو الثقافية، أو الدينية، أو غيرها.

معاشر الأحبة: وقد يسلك بعض الناس مسلك التعصب لإشباع غروره ولستر نقص في نفسه، أو خبراته، أو قدراته، أو تسويق فشله، وقد يوظفه ليجعل له مكانة أو مركزاً في الدين أو السياسة أو الثقافة سواء أكان ذلك في كتابات، أو مؤلفات، أو تكوين أحزاب، وجماعات، وطوائف، ومؤسسات تقوم على الأساس العرقي، أو المذهبي، أو المناطقي، أو القبلي، أو الانتماء الفكري.

أيها المسلمون: إن تشخيص الداء والكشف عن المرض هو السبيل الأقوم والطريق الأنجع للعلاج ومحاصرة آثار المرض السلبية في المجتمع وفي الحياة؛ ومن أجل هذا-عباد الله- فلا بد من النظر في أسباب ظهور التعصب ومثيرات العصبية، يأتي في مقدمة هذه الأسباب-حفظكم الله- التربية والنشأة الاجتماعية، فمن نشأ في بيئة تقذي العصبية فإنها تنتج

متعصبين؛ مما ينتج عنه الظلم والتجاوز والضجور في الخصومة والإقصاء؛ فالإنسان لا يولد متعصباً، الإنسان لا يولد متعصباً، ولكنه يأخذ ذلك بالتقليد والتلقي والتربية.

ومن أسباب ظهور التعصب: غياب القيم والأخلاق من العدل، والإنصاف، والتجرد، والمساواة؛ مما يولد العدوانية والكراهية والانكفاء إلى الفئات والانحياز إلى الجماعات، ومن ذلك الغلو في الأشخاص من العلماء والمشايخ والكبراء ورؤساء المجتمع، ومن أعظم الأسباب وأكبرها: إثارة الخلافات المذهبية، والانحياز القبلية، والتمييزات المنطقية والإقليمية؛ ومن ثم تثار معها مشاعر الأحقاد والكراهية وبخاصة حينما يجترونها أحداثاً تاريخية سائلة عفا عليها الزمن لم تكن في وقتها مما يُحمد أو يُشرف، فكيف وقد دفتها الزمن ويريد هؤلاء غير الحكماء أو المفرضون المفسدون يريدون إحياءها وإثارتها، ويريدون إسقاط الحاضر على ذلك الماضي غير المجيد ولا الشريف، وهذا المسلك المنحرف يستنزف القوى ويهدر الطاقات ويفرق الأمة ويشتت الأهداف ولا ينتج إلا عصبية مقبلة وتوجهات متطرفة ومساكن موزعة في الغلو ويحرمون المجتمع من أن يجتمع على مودة ورحمة وأخوة؛ ومن هنا تذهب ريح الأمة وتستباح بيضتها، وتفتح الأبواب مشرعة للأعداء يدخلون عليها من كل باب، طعنًا في الدين وغمطًا للمكان ونهبًا للخيرات وتقطيعًا للأوصال.

ومما يلفت النظر مع الأسف أن بعض القنوات الفضائية وأدوات التواصل الاجتماعي تتبنى مثل هذا بقصد أو بغير قصد في أطروحات وتغريدات ومن



خلالها تنثور الخلافات المذهبية والعصبية القبلية والتمييزات المناطقية والفتن الحزبية وهؤلاء جميعاً مع الأسف لا ينقصهم إرث تاريخي يوجب مثل هذا، بل إن الإعلام المشبوه هذه هي بضاعته، وهؤلاء هم جنوده.

معاشر الإخوة: أعظم وسائل العلاج تربية الأجيال في مناهج التربية على التسامح وحفظ حقوق جميع الناس واحترامهم، ومن أهم وسائل العلاج، سن الأنظمة التي تحول دون التعصب، ووضع سياسات واضحة لمحاربة مختلف أشكال التمييز والتصنيف وتحقيق العدل وحفظ الحقوق مع التنبيه لعظم دور الأسرة والمدرسة والمسجد والإعلام بكل أدواته، ووضع الخطط في ذلك.

ومن أكبر وسائل العلاج، تحري الحق والتسليم له والسعي إليه وقبوله ممن جاء به.

وبعد- حفظكم الله-، فمتى كان اختلاف البشر في ألوانهم يعطيهم فضلاً على بعض؟ ومتى كان الميلاد فوق أرض يجعل أرضاً أرقى من أرض؟ وهل يكون جنين في بطن معين يخلق نسباً أشرف من نسب؟ وقد قال نبينا محمد- صلى الله عليه وآله وسلم-: "مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرَعْ بِهِ نَسَبُهُ". ويقول عليه الصلاة والسلام: "لَا يَأْتِينِي النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ وَتَأْتُونَنِي بِأَنْسَابِكُمْ" (متفق عليه)، ويقول لابنته فاطمة وهي بُضْعَةٌ مِنْهُ وَسَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ- رضي الله عنها- وأرضاها: "يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، لَا أَغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً" (متفق عليه).

وقد قال الله لنوح- عليه السلام- في ابنه، (لَئِنْ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) (هود: ٤٦)، فالعصبية- عباد الله- ما هي إلا غلبة أو هام يستكثر بها الصغار أمجاداً موهومة، إنها أمجاد لا تكلف ثمناً، ولا

تستغرق جهداً ولا تنتج ثمرًا، فالإنسان مسئول بنفسه عن نفسه، يقدمه ما اكتسب من خير، ويؤخره ما اكتسب من شر، ويرفعه لباس التقوى؛ ذلك خير.

وفي الحديث عنه- صلى الله عليه وسلم-: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصِيَّةٍ". (رواه أبو داود)، وفي الحديث الآخر: "مَنْ قَتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عَمِيَّةٍ يَفْضُبُ لِعَصِيَّتِهِ، وَيَنْصُرُ عَصِيَّةً، وَيَدْعُو إِلَى عَصِيَّةٍ فَقَتَلَ فَقَتْلُهُ جَاهِلِيَّةٌ" (رواه مسلم).

أيها المسلمون: ليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ووطنه؛ فالتعصب غير الانتساب إلى قبيلة، وغير الانتماء لمذهب، وغير حب الوطن. فهذه سُنَّةُ الله في خلقه؛ إذ جعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا وحبب إليهم أوطانهم وديارهم (وَمَا لَنَا أَلَّا نَحِبَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِينِنَا وَأَهْلِيْنَا) (البقرة: ٢٤٦).

ولكن العصبية التعصب للباطل. وغمط الحق والانحراف عن العدل والإقرار على الظلم والإعانة عليه والمفاخرة به من أجل القبيلة أو المذهب أو الفكر أو المبدأ أو التراب، فما نُقلت الخرافات والعادات السيئة والتقاليد المذمومة إلا بسبب العصبية والتعلق المذموم بالأباء والأجداد، وكلما تلاشت العصبية من الفرد والجماعة تعامل الناس بحكمة وعقل وعدل وهدوء ورحمة وديانة صحيحة، وفي نبد العصبية سوف يزول كثير من أسباب الخلاف والنزاع، ويعيش المجتمع بطمأنينة ومحبة وأخوة، والمجتمعات تنهض على دعائم الخير والصلاح والتقوى لا على مزاعم الالتفاف الأجوف والعصبية العمياء.

والحمد لله رب العالمين.



مظاهر التوحيد.. وحج البيت العتيق

عبده الأقرع



ومن أجل التوحيد بُني بيت الله العتيق؛ قال الله تعالى: «وَلَا بُرْأَنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكَ فِي مَنَاسِكِنَا» (الحج: ٢٦)، «وَمَا أَنْتَ إِلَّا خَلْقٌ كَرِيمٌ» - تخطو خطواتك إلى بلد الله الحرام. راجياً من الله محو السيئات ورفع الدرجات، فحُذِرَ في إخلاص العبادة لله، وأعلم أن العبادة لا تكون عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تكون صلاة إلا مع الطهارة، فكذلك أن المتطهر إذا أحدث بطلت طهارته، فكذلك العابد إذا أشرك بطلت عبادته.

فالشرك لا يصح معه عمل، ولا تقبل معه عبادة، ولهذا كثيراً ما يأتي الأمر بالعبادة مقروناً بالانتهاء عن الشرك، كما في قوله تعالى: «وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً» (النساء: ٣٦)، وكل نبي يقول لقومه: «عَبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ عِندَهُ» (الأعراف: ٥٩).

مظاهر التوحيد في الحج

نحن إذا تدبرنا تأسيس هذا البيت وجدناه قد أسس على التوحيد، كما قال الله تعالى: «وَعَهْدًا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَرَا بَيْنَ اللَّعَلَّيْنِ وَالْمَكِينِ وَالرُّسُلِ الشُّجُورِ» (البقرة: ١٢٥).

فامرهما الله بتطهير البيت من سائر النجاسات، وأعظمها الشرك، كما قال الله تعالى: «لَمَّا أُنشِرُوا بِحَجٍّ فَلَا يَمُرُّوا بِالْحَرَامِ بَيْنَ يَدَيْهِمْ هَكَذَا» (التوبة: ٢٨)، وقال تعالى: «وَلَا بُرْأَنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكَ فِي مَنَاسِكِنَا وَطَهَرْنَا بَيْنَ اللَّعَلَّيْنِ وَالرُّسُلِ الشُّجُورِ» (الحج: ٢٦).

إذن فهذا البيت أُسِّسَ على التوحيد، ويجب أن يبقى على التوحيد إلى أن تقوم الساعة، ولا يجوز أن يُسمح لشرك بالوصول إليه، ولا بمزاولة شركه حوله، ولهذا لما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة المشرفة دخل المسجد الحرام وفوق الكعبة وحولها ثلاثمائة وستون

الحمد لله المتفرد بالكمال والبقاء، والعز والكبرياء، له الصفات العلى وجميل الأسماء، المنزه عن الأشباه والنظائر، وأصلي وأسلم على نبينا محمد الصادق المأمون، وعلى آله وأصحابه الذين هم بهديه مستمسكون.. وبعد:

فليس الإيمان مجرد دعوى وألقاب، إنما الإيمان الحق اعتقاد سليم، وعمل صحيح، ولاء وإبراء، مظهر ومخبر، بذل الندي وكف الأذى.

وتحقيق التوحيد يحتاج إلى يقظة قلبية دائية تنفي عن النفس كل خاطرة تقدح في العبودية لله، ومن وقع في مهاوي الشرك الأكبر؛ فطلب من الموتى زوال فقر أو مرض، أو طلب منهم جلب نفع، أو دفع ضرر، فقد أساء إلى جناب الربوبية، وتقص من الألوهية، وأساء الظن برب البرية.

فالتوحيد الخالص، هو لباب الرسالات السماوية كلها، وأساس الملة، فمن أجل التوحيد خلق الله الخلق، قال الله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادَتِي» (الذاريات: ٥٦).

ومن أجل التوحيد بعث الله الرسل، قال الله تعالى: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلَافَاتِ» (النحل: ٣٦)، ومن أجل التوحيد ترك نبي الله يوسف عليه السلام ملة قومه: «إِلَىٰ تَرْكُ مِلَّةِ قَوْمِهِ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ» (٢٧) «وَأَنْتَ بِمِلَّةِ اللَّهِ عَلَىٰ الْبَرِيَّةِ» (يوسف: ٣٧-٣٨).

صَنَمًا، فَجَعَلَ يَطْعُمُهَا بِالْقَضِيبِ، وَيَقُولُ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَرَدَّ عَلَى الْبَيْتِ إِنَّ الْبَيْتَ كَانَ زُهْرًا**، (الإسراء: ٨١).

فجعلت الأصنام تتهاوى على وجوهها، ثم أمر بها صلى الله عليه وسلم فأخرجت من المسجد وأحرقت، ثم دخل صلى الله عليه وسلم الكعبة، وأزال ما رُسم على جدرانها من الصور، كل ذلك عملاً بقول الله تعالى: **وَمُطَهِّرِ بَيْتِ**، (الحج: ٢٦)، لأن هذا البيت قبلة المسلمين، وإليه حجهم وعمرتهم، وهو ملتقى قلوبهم وأبدانهم.

وقد أمر الله بأداء الحج والعمرة خالصين له، فقال سبحانه وتعالى: **وَأَتُوا الْحَجَّ وَالْمُرَّةَ**، (البقرة: ١٩٦)، مما يدل على أن كل حج وعمرة لا يتوفر فيهما توحيد العبادة، فليسا بمقبولين عند الله سبحانه وتعالى.

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج، رفع الأصوات بعد الإحرام بالتلبية لله وفي الشريك عنه، وإعلان انفراده جل وعلا بالحمد والتمتع والملك، فيرفع الحاج صوته ملبيًا: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والتمتع لك والملك.. يرددها الحاج بين كل فترة وأخرى حتى يشرعوا في التحلل من الإحرام.

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج، أن أعظم الذكر الذي يقال في يوم عرفة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «خير الدعاء دعاء عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير». (الترمذي ٣٥٨٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٧٧٤).

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج، أن الله أمر بالطواف ببيته، فقال تعالى: **وَلَبَّطُوا** **بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ**، (الحج: ٢٩).

مما يدل على أن الطواف خاص بهذا البيت، فلا يجوز الطواف ببيت غيره على

وجه الأرض، لا بالأضحية، ولا بالأشجار والأحجار.

ومن مظاهر توحيد العبادة في الطواف بالبيت العتيق، أن الطائف حين يستلم الركن اليماني والحجر الأسود يكبر الله معتقداً أنه يستلمهما لأنهما من شعائر الله، فهو يستلمهما طاعة لله واقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما استلم الحجر وقبله: والله إنني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك. (البخاري ١٥٩٧، ومسلم ١٢٧٠).

ومن مظاهر توحيد العبادة في الحج، أن الحاج حينما يفرغ من الطواف ويصلي الركعتين فإنه يقرأ في الأولى بعد الفاتحة سورة «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ»، وفي الثانية يقرأ سورة الاخلاص؛ لما تشتمل عليه هاتان السورتان من توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

ففي السورة الأولى البراءة من دين المشركين، وإفراد الله بالعبادة.

وفي السورة الثانية إفراد الله بصفات الكمال، وتنزيهه عن صفات النقص، وبذلك يعرف العبد ربه، ويخلص له العبادة، ويتبرأ من عبادة ما سواه من خلال هذا الدين العملي العظيم.

ومن مظاهر توحيد العبادة في السعي بين الصفا والمروة، أن العبد يسمى بينهما امتثالاً لأمر الله جل وعلا في قوله: **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ**

حجة الوداع

لابن حزم



نظرات في كتاب

د. محمد عبد العزيز

أستاذ

عليه وسلم ودّع الناس فيها، ولم يحج بعدها، وعلى ما يبدو أن هذه التسمية كانت بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: «كنا نتحدث بحجة الوداع، ولا ندري أنه الوداع من رسول الله صلى الله عليه وسلم». أخرجه البخاري (٤٤٠٣)، ومسلم (١٢٠).

وقد وجه النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى أخذ أحكام المنسك منها، فكان يقول لأصحابه رضي الله عنهم: «لتأخذوا عني مناسككم؛ فإنني لا أدري، لعلي لا أحج بعد حجتي هذه». أخرجه مسلم (١٢٩٧)، وأبو داود (١٩٧٠)، والنسائي (٣٠٦٢).

ولذا اعتنى أهل العلم عناية فائقة بسياق حجته تلك، ومنهم من أفردوا بالتصنيف، فكان من أهم الكتب التي سافت أحداث حجته تلك كتاب حجة الوداع أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦ هـ)، وهو كتاب رائق اهتم به أهل العلم اهتماماً فائقاً جمع فيه ابن حزم مرويات حجة الوداع من كتب السنة، ورتبها ترتيباً متقناً أبان على كثير من فقهاء، وأزال التعارض الموهوم بين بعض نصوصها، وقد بلغت تلك الرويات سبعا وخمسين وخمسمائة حديث (٥٥٧)، قال ابن حزم في مقدمة الكتاب (ص ١٣٥): «فإن الأحاديث كثرت في وصف عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع».

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَفِ السَّعْيُ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا بِحَقِّهِ يَتَخَذُ الْوَهْدَ الْحَمْدُ فِي الْأَمْرِ وَهُوَ لَكُمْ لَقِيْرٌ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْمُنْتَرِ، (سبا، ٢٠١).

والصلاة والسلام على إمام المتقين، وخاتم النبيين، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فمن المناسب للعلماء وطلاب العلم في أشهر الحج خاصة مراجعة أحكامه، والمروء على مسائله، والنظر في نوازل، وتذكير المسلمين بأحكامه وفضائله.

والحج هو الركن الرابع من أركان الإسلام العملية، وهو فرض على المكلف مرة في العمر؛ إذا استطاع إليه سبيلاً. قال ابن حزم في مراتب الإجماع (ص ٤١): «اتفقوا أن، البحر، المسلم، العاقل، البالغ، الصحيح الجسم واليدين والبصر والرجلين، الذي يجد زادا، وراحلة، وشيئا يتخلف لأهله مدة مضيئه، وليس في طريقه، بحر، ولا خوف، ولا منعه أبواه، أو أحدهما؛ فإن الحج عليه فرض. واتفقوا أن المرأة إذا كانت كذلك، وحج معها ذو محرم أو زوج؛ فإن الحج عليها فرض».

وقد حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة واحدة بعد هجرته سميت: حجة الإسلام؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحج من المدينة غيرها.

وسميت حجة البلاء؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم بلغ أهل الإسلام فيها شرع الله في الحج قولاً، وفعلاً.

وسميت حجة الوداع لأن النبي صلى الله

الله، مجلداً في حجة الوداع أجاد في أكثره، ووقع له فيه أوهام، سننبه عليها في مواضعها، وبالله المستعان..

فهو كتاب بلغ في الحسن غاية، جزى الله مؤلفه عن أهل الإسلام خيراً، غير أن هنا مسألة أرى أنه لا بد من التنبيه عليها، وهي أننا نعني بقولنا ذلك سياق ابن حزم لحجة الوداع لا ما استنبطه منها فله في ذلك شذوذات يعلمها أهل العلم فبعضها يرجع لجموده على الظاهر، وبعضها يرجع لكونه لم يحج فلم يتصور بعض ما يذكر، وأنا أذكر من ذلك ثلاثة من الأمثلة يتضح بها المقال.

المثال الأول: قال في كتابه هذا بجواز طواف النفساء بالبيت، قال (ص ٤١٦): «ولدت أسماء محمد بن أبي بكر، فأتى أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمرها أن تفتسل، ثم تهل بالحج، وتصنع ما يصنع الناس، إلا أنها لا تطوف بالبيت.

ففي هذا الحديث نضف منكر، وهو أنها لا تطوف بالبيت، وإنما هذا اللفظ محفوظ في أمره صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها إذ حاضت، والحائض ليست نفساء، والنفساء ليست حائضاً، وليس اتفاقهما في أن لا يصليا ولا يطوفاً بموجب أن يمنعا أيضاً الطواف بالبيت دون نص وارد في النفساء كوروده في الحائض، والقياس باطل..

ثم قال (ص ٤١٩): «عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن أسماء بنت عميس، أنها ولدت محمد بن أبي بكر بالبداء، فذكر أبو بكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «مرها بأن تفتسل ثم تهل».

قال أبو محمد رحمه الله: فهذه الرواية أصح من الأولى؛ لأن أسماء بنت عميس عمرت بعد ابنها محمد، وكانت تحت علي بن أبي طالب، وعاشت بعده، فلا ينكر سماع القاسم منها، وأما سماعه من عائشة رضي الله عنها فهو الصحيح المشهور المتيقن المأثور، وقد ذكرناه قبل، وليس فيه هذا اللفظ، وهذه الرواية كما ترى ليس فيها

- وأنت من طرق شتى، وبالأفاض مختلفة.

- ووصفت فصول ذلك العمل المقدس في أخبار كثيرة غير متصل ذكر بعض ذلك ببعض. حتى صار هذا سبباً إلى تعذر فهم تأليفها على أكثر الناس، حتى ظننها قوم كثير متعارضة، وترك أكثر الناس النظر فيها من أجل ما ذكرنا.

- فلما تأملناها وتدبرناها بعون الله عز وجل لنا وتوفيقه إيانا، لا بحولنا ولا بقوتنا، رأيناها كلها متفقة ومؤلفة منسردة متصلة بيته الوجوه واضحة السبل، لا إشكال في شيء منها.

- حاشا فضلاً واحداً لم يلج لنا وجه الحقيقة في أي النقلين هو منها فتنهنا عليه وهو: أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر يوم النحر، أيمنى أم بمكة؟.

وقد نقل عنه جمع من أهل العلم منهم: أبو محمد عبد الحق الإشبيلي (المتوفى: ٥٨٢ هـ)، وأبو زكريا يحيى بن شرف الدمشقي النوي (المتوفى: ٦٧٧ هـ)، ومحب الدين أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري (المتوفى: ٦٩٤ هـ) في كتابه: القزى لقاصد أم القرى. وتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، وأبو الفتح محمد بن محمد بن أحمد اليعمرى الأندلسي المعروف بابن سيد الناس (المتوفى: ٧٣٤ هـ).

وممن كان له به عناية خاصة أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، فقد اعتمد عليه في سياق حجته في زاد المعاد، وبين أوهامه في كتابه هذا.

وكذا أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، فقد اعتمد عليه في سياق حجته صلى الله عليه وسلم وبين أوهامه في كتابه هذا، قال في البداية والنهاية (٤٠٥/٧): «اعتنى الناس بحجة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتناءً كثيراً من قدماء الأئمة ومتأخريهم، وقد صنّف العلامة أبو محمد بن حزم الأندلسي، رحمه

لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعائشة: أنفست؟ قالت: نعم؛ فسمى الحيض نفاساً. وكذلك الغسل منه واجب بإجماع.

المثال الثاني: قال بإبطال الحج بالجدال بالباطل فيه، قال في المحلى (٢٠٩/٥): «والجدل بالباطل، وفي الباطل عمداً ذاكراً لإجرامه مبطل للأحرام، وللحج، لقوله تعالى: **وَلَا زَنْتَ وَلَا زُنُوتَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ**»، (البقرة: ١٩٧).

وقد قال هو في مراتب الإجماع (ص ٤٣): «واتفقوا أنه من جادل في الحج أن حجه لا يبطل ولا إحرامه».

المثال الثالث: قال ببطان حج من حج ولم يلب، أو لبى لكن لم يرفع صوته، قال في المحلى (٢٠٩/٥): «ومن لم يلب في شيء من حجه أو عمرته بطل حجه وعمرته، فإن لبى ولو مرة واحدة أجزأه، والاستكثار أفضل».

فلو لبى ولم يرفع صوته فلا حج له ولا عمرة، لأمر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل بأن يأمر أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية. فمن لم يلب أصلاً أو لبى ولم يرفع صوته وهو قادر على ذلك؛ فلم يحج ولا اعتمر كما أمره الله تعالى».

فهذه أمثلة ثلاثة توضح لك المقصود، وهي مذهبه واجتهاده، ورأيه الذي أصاب فيه أجزاء واحداً إن شاء الله تعالى، وهذه الأمثلة غير الأوهام التي في سياق الحجة - وسيأتي ذكر جمهورها بعد - فهذا يتعلق بالاجتهاد، وهذا يتعلق بالنقل، وإنما أوردت ذلك لئلا يخلط بين تزكية كتاب حجة الوداع كسياق للمنسك، وبين فقه ابن حزم في المنسك؛ فله فيه إصابات، وعليه فيه هنأت، والكبير من عدت أخطاؤه.

هذا ما يشره الله تعالى في هذا المقال، فإلى لقاء قريب نستكمل فيه الحديث عن كتاب ابن حزم حجة الوداع، وعن منهجه فيه، وأفضل طبعاته، إن شاء الله تعالى.

نسأل الله أن ييسر لنا حج بيته الحرام، والحمد لله رب العالمين.

منع الطواف بالبيت، ولا يجوز تعدي ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ولا الزيادة في أمره، ما لم يأمر به».

وهذا مخالف للإجماع، وقد نقل الإجماع غير واحد من أهل العلم منهم ابن عبد البر في التمهيد (٣١٥/١٩).

وقد قال في المحلى (١٨٩/٥): «والطواف بالبيت على غير طهارة جائز، للنفساء، ولا يحرم إلا على الحائض فقط؛ لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منع أم المؤمنين - إذ حاضت - من الطواف بالبيت كما ذكرنا قبل».

وولدت أسماء بنت عميس بذئ الحليفة فأمرها - عليه السلام - بأن تغتسل وتهل، ولم ينهها عن الطواف؛ فلو كانت الطهارة من شروط الطواف لبينه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما بين أمر الحائض، **«وَمَا يَطْلُ عَنْ الْمَرْءِ أَنْ يَنْفَسَ»** (النجم: ٣-٤)، **«وَمَا كَانَ رَيْكُ نَيْسًا»** (مريم: ٦٤)، ولا فرق بين إجازتهم الوقوف بعرفة، والمزدلفة، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمرة على غير طهارة، وبين جواز الطواف على غير طهارة إلا حيث منع منه النص فقط.

روينا عن سعيد بن منصور حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن عطاء قال: حاضت امرأة وهي تطوف مع عائشة أم المؤمنين فأتمت بها عائشة بقية طوافها - فهذه أم المؤمنين لم تر الطهارة من شروط الطواف - ولا نقول بهذا في الحيض خاصة للنص الوارد في ذلك».

وقد رجع ابن حزم عن هذا، واستدركه على نفسه في كتاب الحيض والاستحاضة من أول المحلى، لكن على ما يبدو أنه لم يراجع ذلك في كتاب الحج. قال (٤٠٠/١): «ودم النفاس يمنع ما يمنع منه دم الحيض - هذا لا خلاف فيه من أحد، حاشا الطواف بالبيت، فإن النفساء تطوف به؛ لأن النهي ورد في الحائض ولم يرد في النفساء» **«وَمَا كَانَ رَيْكُ نَيْسًا»** (مريم: ٦٤).

ثم استدركنا فرأينا أن النفاس حيض صحيح، وحكمه حكم الحيض في كل شيء

واحة التوحيد

من نور كتاب الله من ثمار الصبر

قال تعالى: «وَلَمَّا دَعَا إِلَىٰ صَفْوَةٍ
كَانَتِ مَلَائِكَةً فِي مَرَجٍ مِّنْ بَقَايَةٍ
وَحَمَلَتْهُ هَبْلًا بَنِي إِسْرَءِيلَ
وَحَمَلَتْهُ مِنْهُ لَبَنَةً حَمْلًا
لَّمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا ثَابِتِينَ وَثِقُونَ»
(السجدة: ٢٣، ٢٤)

من فضائل الصحابة بشهادات آل البيت

عن جعفر الصادق قال:
من زعم أنني إمام معصوم،
مفترض الطاعة، فأنا منه
بريء، ومن زعم أنني أيرأ
من أبي بكر وعمر، فأنا منه
بريء.
(سير أعلام النبلاء)

من حكمة الشعر

قال أبو العتاهية:
وإذا تناسبت الرجال، فما أرى
نسباً يُقاس بِصالح الأعمال
وإذا بحثت عن التقي وجدته
رجلاً يُصدق قوله بفعل
(ديوان أبي العتاهية)

من دعاء النبي

عن عائشة رضي الله
عنها، قالت: صلى
رسول الله صلى الله
عليه وسلم الضحى،
ثم قال: «اللهم اغفر
لي، وتب علي، إنك أنت
التواب الرحيم»، حتى
قالها مائة مرة.
(الأدب المفرد)

من اقوال السلف في عجيبة السنة

قال ابن قتيبة: «لولا هذه الأحاديث المنقولة إلينا لم نعرف
بالكتاب أكثر ديننا؛ لأنه يأتي مجمل يفضل الحديث،
ومشكل يبين مراد الله فيه الرسول. وهذا بين كثير لا يحتاج
إلى الإطالة» (المسائل والأجوبة ص ٣٣٥).

من هدي
رسول الله ﷺ

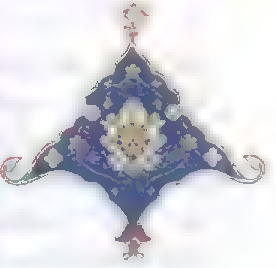
عن عائشة رضي الله عنها
قالت: كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا رأى ما يحب
قال: «الحمد لله الذي بنعمته
تتم الصالحات، وإذا رأى ما
يكره قال: «الحمد لله على كل
حال، (سنن ابن ماجه).

حكم ومواعظ

قال الثوري عن بعض
أصحابه، "ثلاث من
الصبر، ألا تحدث بوجعك،
ولا بمصيبتك، ولا تزكي
نفسك".
(تفسير ابن كثير).

من دلائل النبوة

عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال: وهو في قبة يوم بدر، اللهم أنشدك
عهدي ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد
اليوم، فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك
يا رسول الله ألححت على ربك، فخرج وهو
يثب في الدرع وهو يقول: سيهزم الجمع
ويولون الدبر" (صحيح البخاري).



من آفات العلم:

عدم العمل به

قال مالك بن دينار،

"إن العالم إذا لم يعمل

بعلمه زلت موعظته عن

القلوب كما يزل القطر

عن الصفا".

(عيون الأخبار).

من القوال الحسنه

سمع زياد بن أبيه امرأة تقول: "اللهم اعزل عنا زيادا".
فقال: زيدي في دعائك: وأبد لنا خيرا منه: فإن الأخير
أبدأ شر.

(محاضرات الأدباء للأصفهاني).

حجاب المرأة المسلمة (١٣)



الحمد لله وحده. والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد؛
نواصل الحديث عن أدلة حجاب المرأة المسلمة. وقد تكلمنا في الحلقات السابقة عن آيات
الحجاب. ثم انتقلنا إلى الأحاديث. فذكرنا أحد عشر حديثاً. ونستأنف البحث بإذن الله تعالى.

الحديث الثاني عشر:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا. وأشار إلى وجهه وكفيه. (أخرجه أبو داود والبيهقي بنحوه).

ولأهمية هذا الحديث فهو العمدة للقائلين بكشف الوجه؛ فإننا سوف نتوقف معه بالبحث والتأمل.

سند حديث أبي داود:

حدثنا يعقوب بن كعب الأنطاكي، ومؤمل ابن الفضل الجرائي، قالا: ثنا الوليد بن سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد. قال أبو داود: هذا مرسل خالد بن دريك لم يدرك عائشة رضي الله عنها.

رواية الحديث:

١- يعقوب بن كعب، ثقة. (انظر تقريب التهذيب ت ٧٨٢٩، تهذيب التهذيب ت ٧٥٩).

٢- مؤمل بن الفضل: صدوق. (انظر تقريب التهذيب ت ٧٠٣٢، تهذيب التهذيب ت ٦٨٦).

د. متولي البراجلي



٣- الوليد بن مسلم، ثقة لكنه كثير التدليس، وأكثره تدليس التسوية (انظر تهذيب التهذيب ت ٨٦٢٠).

(فائدة: تدليس التسوية: هو أن يروي حديثاً عن شيخ ثقة غير مدلس، وذلك الثقة يرويه عن ضعيف عن ثقة، فيأتي المدلس الذي سمع من الثقة الأول غير المدلس فيسقط الضعيف الذي في السند، ويجعل الحديث عن شيخه الثقة الثاني بلفظ محتمل، فيستوي الإسناد كله ثقات، وهذا شر أقسام التدليس، قاذح فيمن تعمد فعله.. وكان الوليد بن مسلم ممن يفعل ذلك. (انظر التدليس والمدلسون لإجماد الأنصاري ٩٤/٢).

قلت: من ذكر أن الوليد بن مسلم - مع إمامته - كان يدلس تدليس التسوية ذكر أنه كان يفعل ذلك مع أحاديث الأوزاعي، فكان يحذف الرواة الضعفاء الذين يروي عنهم الأوزاعي محتجاً أنه ينبل الأوزاعي أن يروي عن مثل هؤلاء- أي الضعفاء، ويفعل ذلك أيضاً مع ابن جريج. (انظر توضيح الأفكار للصنعاني ٣٣٨/١).



١- أخرج أبو داود في مراسيله عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الجارية إذا حاضت لم يصلح أن يُرى منها إلا وجهها ويدها إلى الفصل. (المراسيل لأبي داود).

٢- أخرج البيهقي من طريق ابن لهيعة عن عياض بن عبد الله أنه سمع إبراهيم بن عبيد بن رفاعة الأنصاري يخبر عن أبيه، أظن عن أسماء ابنة عميس أنها قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة بنت أبي بكر وعندها أختها أسماء بنت أبي بكر وعليها ثياب شامية واسعة الأكمام، فلما نظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فخرج، فقالت عائشة رضي الله عنها تنخي؛ فقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً كرهه، فتنحت، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأته عائشة رضي الله عنها لم قام؟ قال: أولم تري إلى هينتها، إنه ليس للمرأة أن يبدو منها إلا هذا وأخذ بكفيه فغطى بهما ظهر كفيه حتى لم يبدو من كفيه إلا أصابعه ثم نصب كفيه على صدغيه حتى لم يبد إلا وجهه. (السنن الكبرى البيهقي ح ١٣٤٩٧، وقال: إسناده ضعيف، وقال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في الكبير والأوسط إلا أنه قال (ثياب شامية) بدل (سابقة) وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وبقيّة رجاله رجال الصحيح ح ٨٦١٤).

قال الألباني: وعلمته ابن لهيعة، وهو ثقة فاضل، لكنه كان يحدث من كتبه فاحتقرت؛ فحدث من حفظه فخلط، وبعض المتأخرين يُحسن حديثه، وبعضهم يصححه، ثم قال: والذي لا شك فيه أن حديثه في المتابعات والشواهد لا ينزل عن رتبة الحسن، وهذا منها، وقد قوى البيهقي حديث عائشة رضي الله

ووصف الحافظ ابن حجر الوليد ابن مسلم بالتدليس الشديد مع الصدق. (انظر تعريف أهل التقديس ص ٥١). وقد عنعن الوليد روايته عن سعيد بن بشير.

٤- سعيد بن بشير: أكثر أهل العلم على تضعيفه (انظر تهذيب التهذيب: ٢٦٧)، وقال الحافظ في التقريب: ضعيف (تقريب التهذيب ت ٢٢٧٦).

٥- قتادة بن دعامة السدوسي: ثقة ثبت (تقريب التهذيب ت ٥٥١٨)، وهو مشهور بالتدليس وصفه به النسائي وغيره. (انظر تعريف أهل التقديس ص ٤٣).

٦- خالد بن دريك: ثقة يرسل. (تقريب التهذيب ت ١٦٢٥).

على ضوء النظر في سند الحديث فإن فيه أربع علل:

١- الانقطاع بين خالد بن دريك وبين عائشة رضي الله عنها، فهو لم يدرك عائشة رضي الله عنها.

٢- ضعف سعيد بن بشير.

٣- عنعن الوليد بن مسلم.

٤- عنعن قتادة بن دعامة، كما أن فيه علة خامسة، وهي الاضطراب، قال ابن عدي: ولا أعلم رواه عن قتادة غير سعيد ابن بشير، وقال مرة فيه عن خالد بن دريك عن أم سلمة بدل عائشة رضي الله عنهما. (انظر: الكامل في ضعفاء الرجال ٤١٧/٤).

وكذلك في ميزان الاعتدال: خالد بن دريك عن عائشة - رضي الله عنها - منقطع لم يسمع منها، وثقه ابن معين والنسائي، لكن روايته عن الصحابة مرسله. (انظر ميزان الاعتدال للذهبي ٦٣٠/١)، وقد قوى الحديث الشيخ الألباني، فقال: لكن الحديث قد جاء من طرق أخرى يتقوى بها؛

عنها الذي رواه خالد بن دريك من وجهة أخرى، فقال: قال أبو داود: هذا مرسل؛ خالد بن دريك لم يدرك عائشة. ثم قال البيهقي: مع هذا المرسل قول من مضى من الصحابة رضي الله عنهم في بيان ما أباح الله من الزينة الظاهرة، فصار القول بذلك قولاً ووافقه الذهبي في تهذيب سنن البيهقي، والصحابة الذين يشير إليهم البيهقي: عائشة وابن عباس وابن عمر - واللفظ للأخير - يعني ابن عمر؛ الزينة الظاهرة: الوجه والكفان. (انظر: جلباب المرأة المسلمة ص ٥٨-٥٩، السنن الكبرى للبيهقي ٣١٩/٢).

كما ذكر الشيخ الألباني أثرين عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم في تفسير (إلا ما ظهر منها)؛ قال: الكف ورقعة الوجه، وقال: إن سندهما صحيح. (انظر تمام المنة ص ١٦٠).

وابن كثير استأنس بحديث عائشة رضي الله عنها عندما نقل تفسير (إلا ما ظهر منها) فقال: ويحتمل أن ابن عباس ومن تابعه أرادوا تفسير (ما ظهر منها) بالوجه والكفين، وهذا هو المشهور عند الجمهور، ويستأنس له بالحديث الذي رواه أبو داود في سننه، ثم ذكر الحديث... وعلق عليه فقال: لكن قال أبو داود وأبو حاتم الرازي: هذا مرسل؛ خالد بن دريك لم يسمع من عائشة، والله أعلم. (انظر تفسير ابن كثير ٤٥٦-٤٦٠).

مسألة هامة:

هل يتقوى الحديث الضعيف بكثرة طرقه؟ هذه المسألة في غاية الأهمية، فليست كل الطرق تقوى الحديث الضعيف، فالطرق شديدة الضعف وإن تعددت فلا يتقوى بها الحديث، وإنما يتقوى الحديث بالطرق التي فيها ضعف يسير، على تفصيل في ذلك؛ يقول الشيخ

أحمد شاكر: إذا كان ضعف الحديث لنسق الراوي أو اتهمه بالكذب، ثم جاء من طرق أخرى من هذا النوع فإنه لا يرقى إلى الحسن، بل يزداد ضعفاً إلى ضعف؛ إذ إن تفرد المتهمين بالكذب أو المجروحين في عدالتهم بحديث لا يرويه غيرهم يرجح عند الباحث المحقق التهمة، ويؤيد ضعف روايتهم. (انظر شرح ألفية الحديث ص ١٦).

ويقول الشيخ الألباني: «من المشهور عند أهل العلم أن الحديث إذا جاء من طرق متعددة؛ فإنه يتقوى بها، ويصير حجة وإن كان كل طريق فيها على انفراده ضعيفاً، ولكن هذا ليس على إطلاقه، بل هو مقيد عند المحققين منهم بما إذا كان ضعف روايته في مختلف طرقه ناشئاً من سوء حفظهم لا من تهمة في صدقهم أو دينهم، وإلا فإنه لا يتقوى مهما كثرت طرقه، وهذا ما نقله المحقق المناوي في (فيض القدير) عن العلماء، قالوا: وإذا قوي الضعف لا ينجبر بوروده من وجه آخر؛ وإن كثرت طرقه، ومن ثم اتفقوا على ضعف حديث: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً؛ مع كثرة طرقه لقوة ضعفها وقصورها عن الجبر، خلاف ما خفَّ ضعفه ولم يقصر الجابر عن جبره؛ فإنه ينجبر ويعتضد.. ومع هذا فلا بد لمن يريد أن يقوى الحديث بكثرة طرقه أن يقف على حال كل طريق منها حتى يتبين له مبلغ الضعف فيها. (انظر تمام المنة ص ٣١-٣٢).

فهل حديث عائشة رضي الله عنها من النوع الذي يتقوى بكثرة طرقه وشواهد، أم هو من النوع الذي لا يتقوى؟ هذا ما نستأنفه في العدد القادم إن شاء الله وقدر. وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.





مكتبة الفتى

وقطات شرعية مع ظاهرة الزواج العرفي

اعداد: المستشار/ أحمد السيد علي إبراهيم

٢- اتحاد مجلس العقد، والمقصود باتحاد مجلس العقد أن الإيجاب إذا صدر من أحد العاقدين فلا يجب أن يوجد من أحدهما ما يدل على الإعراض عن إتمام العقد صراحة أو ضمناً، وألا ينشغل أحدهما بأمر خارج عن موضوع عقد الزواج أثناء إجرائه حتى يصدر القبول، لأنه إن وجد ذلك يُعدّ قاصلاً للإيجاب فلا يوافق القبول. ٣- موافقة القبول للإيجاب ولو بشكل ضمني، حتى يتحقق اتفاق الإرادتين الصادرتين من العاقدين على شيء واحد محدد، فإذا خالف القبول الإيجاب لم ينعقد الزواج، إلا إذا كانت المخالفة تؤدي إلى جلب خير للموجب فإنها تكون موافقة ضمنية.

٤- سماع وفهم كل من العاقدين كلام الآخر مع علم القابل أن قصد الموجب بعبارة إنشاء الزواج وإتمام العقد، وعلم الموجب كذلك أن قصد القابل الرضا به والموافقة عليه.

شروط الصحة:

هي التي يجب أن تتوفر في العقد حتى يترتب عليه الأثر الشرعي بعد تمامه، وشروط الصحة اثنان، هما:

١- أن تكون الزوجة غير محرمة على من

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد،

تحدثنا في العدد الماضي عن الزواج العرفي وانتشاره، ونستكمل في هذا العدد الحديث عن شروط انعقاد الزواج الشرعي الصحيح، فنقول وبالله تعالى التوفيق.

شروط الانعقاد:

هي التي يلزم توافرها في أركان العقد مجتمعة أو منفردة، أو في أسس العقد وركائزه، وإذا تخلف شرط واحد منها كان العقد باطلاً باتفاق أهل العلم.

وشروط الانعقاد نوعان،

نوع يرجع إلى العاقد نفسه (الزوج والزوجة) وهو العقل، فلا ينعقد نكاح المجنون والصبي الذي لا يعقل، لأن العقل من شروط الأهلية. ونوع يرجع إلى مكان العقد وهو اتحاد المجلس.

وشروط الانعقاد أربعة وهي،

١- أهلية العاقدين بالتمييز وصلاحيتهما لوقوع العقد عليهما، فإذا كان أحد العاقدين فاقد الأهلية للعقد بأن كان مجنوناً أو صغيراً غير مميز فلا ينعقد الزواج بعبارة كما لا ينعقد منه أي عقد أو تصرف آخر، لأن فاقد التمييز ليس له إرادة ولا يتصور منه رضا يعتمد عليه في العقد.



يريد الزواج منها تحريماً مؤقتاً، ومنها مثلاً أن تكون مُتَزَوِّجَةً، أو مُتَعَدَّةً لغيره لم تنته عدتها الشرعية، أو مُطَلَّقةً منه ثلاث طلاقات ما لم تُحْلَلْ، أو أن تكون مُرتَدَّةً، أو غير كتابية، أو وثنية، أو أمة (عَبْدَةٌ) والنَّاكِحُ حُرٌّ أو زوجة خامسة، أو يكون مُتَزَوِّجاً بِأَخْتِهَا وَغَيْرِهَا مِمَّنْ لَا يَجْمَعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، فمن عقد على واحدة من هؤلاء مِمَّنْ لَا يَحِلُّ لَهُ الْعَقْدُ عَلَيْهِنَ فَرُجَاهُ غَيْرُ صَحِيحٍ.

٢- أن يحضر عقد الزواج شاهدان، ويُشترط في الشهود أن يكونا رجلين، لأنه عقد له شأنه، ولما يترتب عليه من آثار وحقوق، ولتعلقه بالأبضاع التي كان الأصل فيها التحريم، ولأنه يترتب على عدم إعلانه بحضور الشهود أن يشك الناس ويسئوا الظن إذا رأوا رجلاً يتردد على امرأة بشكل مستمر من غير أن يكونا قد أعلنوا زواجهما وشهد على ذلك الناس، وقد ذكرت شروط الشهود في باب الأركان.

شروط النفاذ

العقد النافذ هو العقد الذي صدر صحيحاً ممن له ولاية إصداره بمعنى أنه صدر من شخص بالغ عاقل كامل الأهلية، أي ممن له أهلية الأداء وله ولاية إنشائه، سواء أنشأ لنفسه أو لمن في ولايته، أو لمن وكله في إنشائه.

وتكمن تلك الشروط في أن يكون العاقد بالغاً، أما تكاح الصبي العاقل وإن كان مُنْعَقِداً إلا أنه غير نافذ، بل نفاذه يتوقف على إجازة وليه، ولا يتوقف على بلوغ الصغير، حتى إذا بلغ قبل أن يجيزه الولي فإنه لا ينفذ بمجرد البلوغ إلا إذا أجازته الصغير بعد بلوغه هو أو وليه.

شروط الزوم

هي التي يثبني عليها استمرارية العقد من عدمها. فإذا تخلف شرط واحد من هذه الشروط كان العقد جائزاً قابلاً للنفاذ والفسخ، أو غير لازم، وهو الذي يجوز لأحد العاقلين أو لغيرهما فسخه أو طلب فسخه بسبب ذلك الشرط. وشروط لزوم الزواج يجمعها شرط واحد، وهو ألا يكون للزوجين أو غيرهما طلب فسخ أو فسخ العقد بعد انعقاده ووقوعه تاماً صحيحاً، أما إن كان لأحد حق فسخه كان العقد صحيحاً نافذاً غير

لازم، فلو تزوجت المرأة ووجدت بزوجها عيباً لا يمكنها أن تعاشره بوجود ذلك العيب إلا بضرر فإن زواجها غير لازم، لأن لها الحق في طلب فسخه، سواء أكان العيب قبل الزواج ولم تعلم به أم حدث بعده ولم ترض به.

الوقفة الثالثة: الزواج العربي الموافق للشرع

الزواج العربي الموافق للشرع هو الزواج الذي لا يكتب في الوثيقة الرسمية التي بيد المأذون، وقد يعلم به غير الشهود من الأهل والأقارب والجيران. وهو عقد قد استكمل الأركان والشروط الاعتبارية شرعاً في صحة العقد - السابق بيانها - وبه تثبت جميع الحقوق من حل الاتصال، ومن وجوب النفقة على الرجل، ووجوب الطاعة على المرأة، ونسب الأولاد من الرجل، وهو العقد الشرعي الذي كان معمولاً عند المسلمين إلى عهد قريب، وقد كان الضمير الإيماني كافياً عند الطرفين في الاعتراف به، وفي القيام بحقوقه الشرعية على الوجه الذي يقضي به الشرع، ويتطلبه الإيمان.

وقد رأى المقتن المصري - حفظاً للأسر، وصوناً للحياة الزوجية، والأعراض من هذا التلاعب - أن دعاوى الزوجية لا تُسمع إلا إذا كانت الزوجية ثابتة بورقة رسمية، وبذلك التشريع صار الذين يقدمون على الزواج العربي، ويلحقهم شيء من آثاره السيئة، هم وحدهم الذين يتحملون تبعات ما يتعرضون له من هذه الآثار، كما يتحملون إثم ضياع الأنساب للأولاد وجرمانهم عند الإنكار، وهم المستولون عن تصرفاتهم أمام الله، وأمام الناس.

الأسباب، والدوافع الداعية إليه

وقد انتشر هذا النوع من الزواج بين الناس بسبب الدوافع الآتية:

أولاً: الرغبة في التعدد، والخوف من رد فعل الزوجة الأولى والأولاد، رخص الله للرجال الزواج بأكثر من امرأة، فقال تعالى: **وَمَنْ جَعَلَ أَلاَّ نَفْسِيْطَرًا فِي الْبَيْنِ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنً وَثُلُثَ وَرُبْعَ فَإِنْ جَعَلْتُمْ أَلاَّ فَرِيدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَنْتُمْ أَلَّا تَعْلَمُونَ .** (النساء: ٣).

ثانياً: الخوف من المجتمع، وقد يكون الزوج أو الزوجة أرملاً، أو مطلقاً، ويرغب في الزواج بمن



عشرة من عمره، ورغبة من بعض أولياء أمور الفتيات- اللاتي لم يبلغن سن الثامنة عشرة - في تزويجهن وخوفاً من المسؤولية القانونية التي قد يواجهونها حال تزويجهن بالمخالفة للقانون، فقد طفت على الساحة ظاهرة تزويج الفتيات عرفياً، ثم توثيق هذا الزواج حال بلوغ الفتيات سن الثامنة عشرة، وقد جرت عدة محاولات برلمانية بإعادة تخفيض سن زواج الفتيات إلى ستة عشر عاماً، إلا أنها باءت بالفشل!!

الأضرار المترتبة على هذا النوع من الزواج: ونتيجة انتشار هذا النوع من الزواج غير الموثق، وبالرغم من عدم مخالفته للشرع لتواظر أركانه، وشروطه- كما سبق بيانه- إلا أن الواقع قد أسفر عن العديد من الأضرار المترتبة عليه، منها:

١- عدم إمكانية إثبات هذا الزواج في حالة الإنكار، نصت المادة ١٧ فقرة ٢ من قانون الأحوال الشخصية رقم ١ لسنة ٢٠٠٠ على أن: «... ولا تقبل عند الإنكار الدعاوى الناشئة عن عقد الزواج - في الوقائع اللاحقة على أول أغسطس سنة ١٩٣١ - ما لم يكن الزواج ثابتاً بوثيقة رسمية، ومع ذلك تقبل دعوى التطليق أو الفسخ بحسب الأحوال دون غيرهما إذا كان الزواج ثابتاً بأية كتابة».

فقد تنشأ الخلافات الزوجية بين الزوجين، ويعمد أحدهما إلى التخلص من ورقة الزواج العربية، وينكره، فلا يستطيع الطرف الآخر أن يثبتها؛ مما يؤدي إلى ضياع حقوقه.

٢- عدم إمكانية إثبات نسب الأولاد الناتجين من هذا الزواج؛ أكدت العديد من الدراسات أن قضايا النسب من الزواج العربية ارتفعت إلى أكثر من ١٥ ألف قضية سنوياً، وأغلب هذه القضايا يُقضى برفضها نتيجة إنكار الزوج للزواج، وعدم استطاعة المرأة أو وليها إثباته، وتشتد المسألة حال وفاة الزوج قبل بلوغ الزوجة ثمانية عشر عاماً، وإثبات الزواج.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

تعيينه على متطلبات الحياة، إلا أن كليهما أو أحدهما يخشى من أولاده، أو يخشى على مكانته الاجتماعية، فيلجأ إلى الزواج العربي كحل لهذه المعضلة.

ثالثاً: الزواج من أجنبى

حيث يعتمد بعض كبار السن من الأجانب إلى الزواج بالفتيات القاصرات، نظير مبلغ مالي، فيقوم أولياء أمورهن بتزويجهن عرفياً.

رابعاً: الخوف من انقطاع المعاش، وقد تستحق المرأة معاش أبيها، أو أمها، أو زوجها السابق المتوفى، وهي صغيرة وتحتاج إلى الزواج لتعف نفسها، وفي نفس الوقت تخاف من انقطاع المعاش الذي تقوم بصرفه حال توثيق زواجها، فتعتمد إلى الزواج العربي خشية انقطاع هذا المعاش.

خامساً: الخوف من سقوط حضانة الصغار

وقد تلجأ بعض الزوجات إلى الزواج العربي خشية من سقوط حقها في حضانة أطفالها الصغار، إذا تزوجت رسمياً، وتدعو المسئولين أيضاً إلى تعديل القانون ليظل الصغار في حضانة الأمهات بعد زواجهن، ولا سيما وأن هذا لا يخالف الشرع حيث قال تعالى: «وَرَبِّكُمْ أَلْتَقَى فِي جُحُورِكُمْ مِّنْ نَّكَاحِكُمُ الَّذِي دَخَلْتُم بِهِنَّ» (النساء: ٢٣)؛ فالحال أن تأتي البنت لتعيش مع أمها بعد زواجها من آخر، وتربى في حجره، ولم تسقط حضانتها بالزواج.

سادساً: رفع سن الزواج لثمانية عشر عاماً

حيث تم رفع سن زواج الإناث من ست عشرة سنة إلى ثماني عشرة سنة بموجب المادة ٣١ مكرر من القانون رقم ١٤٣ لسنة ١٩٩٤م بشأن الأحوال المدنية المضافة بالمادة الخامسة بالقانون رقم ١٢٦ لسنة ٢٠٠٨ والتي نصت على أن: «لا يجوز توثيق عقد زواج لمن لم يبلغ من الجنسين ثماني عشرة سنة ميلادية كاملة.. ويعاقب تأديبياً كل من وثق زواجا بالمخالفة لأحكام هذه المادة».

كما تم رفع سن الطفل إلى ثماني عشرة سنة في قانون الطفل رقم ١٢٦ لسنة ٢٠٠٨م، وفي الدستور المصري- أيضاً - حيث نصت المادة ٨٠ منه على أن: «يُعَد طفلاً كل من لم يبلغ الثامنة



الوسطية عند أهل السنة والجماعة

معاوية محمد هيكل



وحدودها لما يترقب عليها من الأحكام
الدينية والأخروية.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:
”ومعرفة حدود الأسماء واجبة، لاسيما
حدود ما أنزل الله على رسوله“، (الفتاوى،
٣٧/٢٠)

وقال رحمه الله أيضاً، إذا تبين ذلك فاعلم أن
”مسائل التكفير والتفسيق“ هي من مسائل
”الأسماء والأحكام“ التي يتعلق بها الوعد
والوعيد في الدار الآخرة وتتعلق بها الموالاة
والمعاداة والقتل والعصمة وغير ذلك في
الدار الدنيا؛ فإن الله سبحانه أوجب الجنة
للمؤمنين وحرم الجنة على الكافرين وهذا من
الأحكام الكلية في كل وقت ومكان. (مجموع
الفتاوى، ٤٦٨/١٢).

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله، (وهذه
المسائل، أعني مسائل الأسماء والإيمان،
والكفر والنفاق، مسائل عظيمة جداً، فإن
الله عز وجل علّق ب هذه الأسماء السعادة
والشقاوة واستحقاق الجنة والنار، والاختلاف
في تسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة).

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن عقيدة أهل السنة والجماعة – والتي
هي عقيدة الإسلام الصحيحة – وسط
بين عقائد الفرق الضالة المنتسبة إلى دين
الإسلام، فهي في كل باب من أبواب العقيدة
وسط بين فريقين أراؤهما متضادة. أحدهما
غلا في هذا الباب والآخر قسّره، أحدهما
أفرط والثاني فزط، فهي حق بين باطلين؛
فأهل السنة وسط أي عندل خيار – بين
طرفين منحرفين، في جميع أمورهم.

وقد بيّنا في المقال السابق طرفاً من الأصول
العقدية التي تبين وسطية أهل السنة بين
الفرق، وفي هذا المقال نكمل ما بدأناه فنقول
وبالله التوفيق

أولاً، وسطية أهل السنة في باب الأسماء
والأحكام

والمراد بالأسماء: أسماء الدين، وهي تلك
الألقاب التي رتب الله - عز وجل - عليها وعداً
ووعيداً؛ مثل: مؤمن، ومسلم، وكافر، وهاسق.

والمراد بالأحكام: أحكام أصحاب هذه الأسماء
في الدنيا والآخرة.

وتأتي أهمية معرفة هذه الأسماء الشرعية



(جامع العلوم والحكم، ص ٧٧).

وهو مخالفة الخوارج للصحابة، حيث أخرج الخوارج عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية. وأدخلوهم في دائرة الكفر، وعاملوهم معاملة الكفار. واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأقوالهم. ثم حدث بعدهم خلاف المعتزلة وقولهم بالمنزلة بين المنزلتين.

ثم حدث خلاف المرجئة وقولهم: إن الفاسق مؤمن كامل الإيمان.

(وكم هلك بسبب قصور العلم وعدم معرفة الحدود والحقائق من أمة وكم وقع بذلك من غلط وريب وغمّة. مثال ذلك: "الإسلام" و"الشرك" تقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان والجهل بالحققيقتين أو أحدهما أوقع كثيرا من الناس بالشرك وعبادة الصالحين لعدم معرفة الحقائق وتصورها). اهـ. (منهاج التأسيس، ص ١٢)

لذلك فإن مما يتعين الاعتناء به معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله؛ لأن الله سبحانه ذم من لا يعرف حدود ما أنزل الله على رسوله فقال تعالى: (الْأَعْرَابُ أَشَدَّ كُفْرًا وَفَسَاقًا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَدْخُلُوا جَنَّاتٍ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٩٧).

وفي هذا الباب العقدي الخطير تجلّت وسطية أهل السنة والجماعة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى-: "وفي باب أسماء الإيمان والدين (أي، فهم وسط) بين الحرورية والمعتزلة. وبين المرجئة والجهمية" ("الواسطية" ص ١٩٠).

والحرورية: هم الخوارج الذين خرجوا على علي- رضي الله عنه- حينما قبل التحكيم بينه وبين معاوية- رضي الله عنه- فنزلوا واجتمعوا "بحروراء" وهي بلدة قرب الكوفة، وسموا بذلك نسبة إليها.

ومسألة "الأسماء والأحكام" من أول ما وقع فيه النزاع في الإسلام بين الطوائف المختلفة، وكان للأحداث السياسية والحروب التي جرت في ذلك الحين وما ترتب عليها من ظهور الخوارج والرافضة والقدرية أثر كبير في ذلك

النزاع.

فالخوارج "الحرورية" والمعتزلة ذهبوا إلى أنه لا يستحق اسم "الإيمان" إلا من صدّق بجناته، وأقرّ بلسانه، وقام بجميع الواجبات، واجتنب جميع الكبائر، فمن ارتكب الكبيرة عندهم لا يُسمّى مؤمناً باتفاق بين الفريقين.

ولكنهم اختلفوا: هل يسمى "كافراً" أو لا؟ فالخوارج يسمّونه "كافراً"، ويستحلّون دمه وماله؛ ولهذا كفروا علياً ومعاوية- رضي الله عنهما- وأصحابهما، واستحلوا منهم ما يستحلّون من الكفار!

وأما المعتزلة فقالوا: إن مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان ولم يدخّل في الكفر؛ فهو بمنزلة بين المنزلتين! وهذا أحد الأصول التي قام عليها مذهب الاعتزال.

وأتفق الفريقان (الخوارج والمعتزلة) أيضاً: على أن من مات على كبيرة ولم يتب منها فهو مخلد في النار.

فوقع الاتفاق بينهما في أمرين:

(١) نفي الإيمان عن مرتكب الكبيرة.

(٢) خلوده في النار مع الكفار.

ووقع الخلاف أيضاً في موضعين:

١- تسميته كافراً.

٢- استحلال دمه وماله. وهو الحكم الديني. وأما المرجئة، فمذهبهم: أنه لا يضرّ مع الإيمان معصية؛ فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان، ولا يستحقّ دخول النار ومذهب "أهل السنة والجماعة" وسط بين هذين المذهبين؛ فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمن ناقص الإيمان، قد نقص من إيمانه بقدر ما ارتكب من المعصية، فلا ينفون عنه الإيمان أصلاً كالخوارج والمعتزلة. ولا يقولون بأنه كامل الإيمان كالمرجئة والجهمية.

وحكمه في الآخرة عندهم: أنه قد يعفو الله- عزّ وجلّ- عنه فيدخل الجنة ابتداءً، أو يعذّبه بقدر معصيته، ثم يخرج به ويدخله الجنة. وهذا الحكم أيضاً وسط بين من يقول بخلوده في النار، وبين من يقول: أنه لا

يستحقُّ على المعصية عقاباً، (انظر: "شرح الشيخ الهراس").

ثانياً، وسطية أهل السنة في باب الوعيد قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - "أهل السنة وسط في باب وعيد الله بين المرجئة وبين الوعيدية من القدرية وغيرهم". ("الواسطية" ص ١٨٨).

فأهل السنة والجماعة وسط في باب "الوعيد" بين المفرطين من "المرجئة" الذين قالوا: لا يضُرُّ مع الإيمان ذنب، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، أو زعموا أنَّ الإيمان مجرَّد التصديق بالقلب والنطق باللسان، والأعمال ليست من الإيمان!

وسموا "مرجئة" نسبة إلى الإرجاء أي، التأخير؛ لأنهم أخرّوا الأعمال عن الإيمان. وزعم "غلاتهم" أنَّ الإيمان هو مجرَّد التصديق بالقلب فقط، وإن لم ينطق بالشهادتين (ولا شك أنَّ هذا "كفر"، ولا يكون الرجل مؤمناً بذلك، و"الماتريدي" يقول: إنَّ الإقرار باللسان ركن زائد وليس بأصلي).

هؤلاء في طرف، ويُقابلهم في الطرف الآخر: "الوعيدية"، وهم الخوارج والمعتزلة، وقول شيخ الإسلام: "من القدرية وغيرهم" يشمل المعتزلة؛ لأنهم قدرية، ويشمل الخوارج، وقد اتَّفقا على أنَّ مرتكب الكبيرة مخلد في النار، لا يخرج منها أبداً إذا مات عليها ولم يتب منها، لأنهم يقولون: إنَّ الله تعالى يجب عليه عقاباً أن يعذب العاصي، كما يجب عليه أن يثيب المطيع؛ فمن مات على كبيرة ولم يتب منها لا يجوز عندهم أن يغفر الله له؛ فعندهم أنَّ من ارتكب كبيرة مرة ولم يتب منها، كمَّن عاش حياته على عبادة الأوثان ومات عليها!

ومذهبهم باطلٌ مخالف للكتاب والسنة وأهله ضلالٌ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَتَّبِعُ أَنْ يَتَّخِذَ يَوْمَ يَخْلُفُ مَا تَوْفَى ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ﴾ (النساء: ٤٨).

وما جاء في الصحيحين أنَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - يشفع في أناس من المسلمين دخلوا النار بدنوبهم، فيخرجهم من النار

وقد امتحشوا - أي، احترقوا - فدخلهم الجنة ويصب عليهم من ماء الحياة، فتُثبت أجسادهم، ويسمى أهل الجنة بالجهنميين. وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم من حديث جابر - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي).

وسبب ضلال الطائفتين: أنَّ كلَّ واحدة منهما نظرت إلى جانب من نصوص الوحيين وتركت جانباً.

"فالمرجئة" نظروا إلى نصوص الوعد والمغفرة والرحمة والفضل والرجاء، فأخذوا بها، ونسوا أو تناسوا نصوص الوعيد والتهديد والعقوبة، ومثّلوا أنفسهم بأنها في الكفار، وليست في أصحاب المعاصي من المسلمين.

و"الوعيدية" على التقيض نظروا إلى نصوص الوعيد والعقوبة والتهديد، وأليم العذاب وشدة الحساب لمن عصى الله تعالى، وغفلوا عن نصوص الوعد والرحمة والمغفرة للمؤخدين، وأنهم ليسوا كالمشركين الكافرين؛ كما قال - عز وجل - : ﴿أَتَجْعَلُ الْتَائِبِينَ كَالَّذِينَ لَا تَزِيهِ عَنْ مَآلِكُوتِ تَعَكُّوْنَ﴾ (القلم: ٣٥، ٣٦)، وقال سبحانه: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوِينَ﴾ (السجدة: ١٨).

أمَّا أهل السنة والجماعة وسلف الأمة فأخذوا بهذا وهذا، وأمّنوا بكلِّ ما جاء في الوحيين، فقالوا: فاعل الكبيرة من المسلمين مستحقٌّ لدخول النار، كما جاء في النصوص، لكنّه غير مخلد فيها، كما جاء في النصوص أيضاً، فاعملوا وحكموا كلِّ ما جاء عن الله تعالى - ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ولم يهدروا شيئاً منهما، وحققوا الوسطية التي وصفهم الله تعالى بها.

وبعداً، فهذا منهجنا الوسطي المبارك منهج أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية الذي ندين الله تعالى به ونُدعو إليه ونسأل الله أن يثبتنا عليه حتى نلقاه، والله من وراء القصد، والحمد لله رب العالمين.



أحكام الصلاة

الأوقات المنهي عن الصلاة فيها

د. حمدي طه

على قسمين؛ منها ما تتعلق الكراهة فيه بالفعل بمعنى أنه إن تأخر الفعل لم تكرر الصلاة قبله وإن تقدم في أول الوقت كرهت، وذلك في صلاة العصر، وعلى هذا يختلف وقت الكراهة في الطول والقصر، ومنها ما تتعلق فيه الكراهة في الوقت كطلوع الشمس إلى الارتفاع ووقت الاستواء. (إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ١/١٨١).

اتفق القائلون بالنهاي عن الصلاة في هذين الوقتين على أن النهي بعد العصر متعلق بفعل الصلاة أي أن من لم يصل العصر له التنفل بما شاء ولا عبرة بدخول وقت العصر. قال الإمام النووي: «لا خلاف أن وقت الكراهة بعد العصر لا يدخل بمجرد دخول العصر، بل لا يدخل حتى يصلها». (المجموع ٤/١٦٧). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والنهي في العصر معلق بصلاة العصر، فإذا صلاها لم يصل بعدها، وإن كان غيره لم يصل، وما لم يصلها فله أن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد: فقد تكلمنا في الحلقة السابقتين عن الأوقات المنهي عن الصلاة فيها، فذكرنا الأحاديث التي ورد النهي فيها عن أداء الصلاة في هذه الأوقات، ثم تكلمنا عن الحكمة من النهي عن الصلاة في هذه الأوقات، ثم بينا أن هذه الأوقات اختلف العلماء فيها في موضعين؛ أحدهما: في عددها. والثاني: في الصلوات التي يتعلق النهي عن فعلها فيها. ثم تكلمنا عن نوع الحكم المستفاد من النهي عن حكم أداء الصلاة في هذه الأوقات، ثم تكلمنا عن حكم أداء الصلاة المفروضة في هذه الأوقات، ثم تكلمنا عن النهي عن الصلاة في وقت الزوال.

ونبدأ في هذه الحلقة الحديث عن النهي عن الصلاة بعد طلوع الضجر وبعد صلاة العصر. **أولاً: تعلق النهي عن الصلاة بعد طلوع الضجر وبعد صلاة العصر** بمعنى هل النهي متعلق بفعل الصلاة أو بدخول الوقت؟

فإن الأوقات المكروهة



بن عبسة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع" (صحيح مسلم برقم ١٩٥٨). ووجه الدلالة أن قوله صلى الله عليه وسلم: "صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع" فيه أن النهي عن الصلاة بعد الصبح لا يزول بنفس الطلوع، بل لا بد من الارتفاع. (شرح النووي على صحيح مسلم ١١٦/٦).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "شهد عندي رجال مرضيون وأرضاهم عندي عمر- أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب" (متفق عليه). ووجه الدلالة أنه علق الحكم وهو النهي عن الصلاة بنفس الصلاة.

فائدة:

قال ابن دقيق العيد: "في الحديث الأول رد على الروافض فيما يدعون من المباينة بين أهل البيت، وأكابر الصحابة رضي الله عنهم. (إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ١٨٠/١).

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نهى عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس، وعن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس" (صحيح البخاري برقم ٥٨٨).

وجه الدلالة من هذا الحديث أنه نهى عن الصلاة بعد الصبح كما نهى عن الصلاة بعد العصر، فدل ذلك

يصلي، وهذا ثابت بالنص والاتفاق. (مجموع الفتاوى ٢٣/٢٠٠).

أما النهي عن الصلاة بعد الفجر فقد اختلفوا في تعلق النهي على قولين: الأول: أن النهي متعلق بفعل الصلاة كالعصر، وبه قال الشافعي، وأحمد في رواية، ومال إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.

قال النووي: وأما في الصبح ففيه ثلاثة أوجه (الصحيح) الذي عليه الجمهور- أي من المذهب- أنه لا يدخل بطلوع الفجر بل لا يدخل حتى يصلي فريضة الصبح (المجموع ٤/١٦٧). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإذا قيل لا سنة بعد طلوع الفجر إلا ركعتان: فهذا صحيح، وأما النهي العام فلا». (مجموع الفتاوى ٢٣/٢٠٥).

الثاني: أن النهي متعلق بطلوع الفجر أي أنه بعد طلوع الفجر الثاني يكره التنفل بما عدا ركعتي الفجر، سواء صلى الفجر أو لم يصل، واليه ذهب أبو حنيفة، ومالك، وأحمد في المشهور، وهو وجه للشافعية. قال المرغيناني: (ويكره أن يتنفل بعد طلوع الفجر بأكثر من ركعتي الفجر) (الهداية شرح بداية المبتدي ١/٤٠)، وقال القروي:

يكره النفل في موطنين: بعد طلوع الفجر الصادق، ولا يباح النفل بدون كراهة. (الخلاصة الفقهية على مذهب السادة المالكية ٥١/١).

استدل أصحاب القول الأول بأدلة منها:

ما جاء في حديث عمرو



صحيح عن سعيد بن المسيب أنه رأى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين يكثر فيها الركوع والسجود فنهاه فقال: يا أبا محمد! أيعذبني الله على الصلاة؟! قال: لا، ولكن يعذبك على خلاف السنة. وهذا من بدائع أجوبة سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى، وهو سلاح قوي على المبتدعة الذين يستحسنون كثيراً من البدع باسم أنها ذكر وصلاة، ثم ينكرون على أهل السنة إنكار ذلك عليهم، ويتهمونهم بأنهم ينكرون الذكر والصلاة! وهم في الحقيقة إنما ينكرون خلافهم للسنة في الذكر والصلاة ونحو ذلك. (إرواء الغليل للألباني ٢/٢٣٦).

الترجيح

بعد عرض أدلة أصحاب القولين أميل إلى أن الراجح في المسألة هو ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني، وهو أن النهي عن الصلاة بعد الفجر متعلق بطلوع الفجر لا بفعل الصلاة، وأنه إذا طلع الفجر الثاني كره التنفل بما عدا ركعتي الفجر؛ لقوة أدلتهم، ولصراحة الأدلة على ذلك، ولا تعارضها أدلة أصحاب القول الأول؛ لأن أكثر ما فيها أنها دلت على النهي عن الصلاة بعد صلاة الفجر، وليس فيها ما يدل على عدم النهي عند طلوع الفجر إلا بدليل الخطاب-وهو أن يكون المسكوت عنه مخالفاً للمنطوق في الحكم- ويعرف أيضاً بمفهوم المخالفة، وأدلة أصحاب القول الثاني دلت على النهي عند طلوع الفجر بالمنطوق، والمنطوق يقدم على المفهوم. وللحديث بقية إن شاء

الله.

على أن النهي متعلق بفعل الصلاة؛ لأن النهي بعد العصر متعلق بفعل الصلاة بلا خلاف، ولو أنه أراد الوقت لاستثنى ركعتي الفجر والفرض. (انظر المغني ٢٦/٢، ٥، مجموع الفتاوى ٢٣/٢، ٢٠-٣٠).

واستدل أصحاب القول الثاني بأدلة منها:

ما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "لا صلاة بعد طلوع الفجر إلا ركعتي الفجر". (رواه البيهقي في السنن الكبرى واللفظ له ٤٦٥/١، ٤٦٦، انظر حديث رقم: ٦٧٨ في صحيح الجامع).

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا صلاة بعد الفجر إلا سجدة". (أخرجه الترمذي حديث ٤١٩ وصححه الألباني. انظر إرواء الغليل حديث رقم (٤٧٨). قال الترمذي: ومعنى هذا الحديث إنما يقول لا صلاة بعد طلوع الفجر إلا ركعتي الفجر. (سنن الترمذي ٢/٢٧٨).

عن حفصة قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طلع الفجر لا يصلي إلا ركعتين خفيفتين" أخرجه مسلم، وكون النبي صلى الله عليه وسلم لا يزيد عليهما مع حرصه على الصلاة دليلاً على كراهة غيرها في هذا الوقت. (انظر الهداية للمرغيناني ٤٠/١).

فائدة:

روى البيهقي بسند



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هدا، وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى جعل الأطفال زينة في الحياة الدنيا، فقال جل شأنه: ﴿الْكَهْفُ: ٤٦﴾، كما جعلهم مكافأة ونعمة أنعم بها على العابدين المستغفرين، فقال: ﴿الْأَنْعَامُ: ١٥١﴾، بل وجعل الأولاد من البشريات التي يبشّر بها الناس. قال الله تعالى: ﴿يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ فِيهَا مَكْرَهُاتٌ كَثِيرَةٌ مِّنْ فَسَادٍ مَّنْ بَنَائِهِمْ هُمْ فِيهَا كَاثِرُونَ﴾ (نوح: ١٢-١٠)، وقال: ﴿يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ فِيهَا مَكْرَهُاتٌ كَثِيرَةٌ مِّنْ فَسَادٍ مَّنْ بَنَائِهِمْ هُمْ فِيهَا كَاثِرُونَ﴾ (هود: ٧١)، وقال: ﴿يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ فِيهَا مَكْرَهُاتٌ كَثِيرَةٌ مِّنْ فَسَادٍ مَّنْ بَنَائِهِمْ هُمْ فِيهَا كَاثِرُونَ﴾ (مريم: ٧)، وقال: ﴿يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ فِيهَا مَكْرَهُاتٌ كَثِيرَةٌ مِّنْ فَسَادٍ مَّنْ بَنَائِهِمْ هُمْ فِيهَا كَاثِرُونَ﴾ (آل عمران: ٤٥).

ثم أمر الله تعالى المؤمنين برعاية هذه البشريات البشرية وعدم التفريط فيها، فقال: ﴿الْأَنْعَامُ: ١٥١﴾، وقال: ﴿يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ فِيهَا مَكْرَهُاتٌ كَثِيرَةٌ مِّنْ فَسَادٍ مَّنْ بَنَائِهِمْ هُمْ فِيهَا كَاثِرُونَ﴾ (التحریم: ٦)، قال علي رضي الله عنه في تفسيرها: علموهم وأدبوهم.. (تفسير الطبري).

لأن الأولاد ينشأون على ما عودهم عليه الآباء والمربون، فإن عودوا على الخير شبوا عليه وشابوا عليه أيضاً، وكان أجرهم ثابتاً لهم ولكل مرب لهم ومعلم، وسعدوا في الدنيا والآخرة، وإن عودوا على الشر وأهملوا إهمال البهائم شقوا، وشقي كل مرب لهم ومعلم، وكان الوزر على القائمين على أمرهم من أوليائهم ومعلميهم، ولذلك قالوا:

وينشأ ناشئ الفتيان منا

على ما كان عوده أبود

ومن قبلها قالها رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

فالمسئولية إذن على الوالدين والمربين لا محيص عنها، والله سائل كل راع عما استرعاه، قال عليه الصلاة والسلام: «ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالرجل راع في بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة مسئولة في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيته».. الحديث.

والسائل هنا هو الله تعالى الذي يسأل يوم القيامة كل مسئول عما استرعاه، ولا بد أن يُعَد كل مسئول جواباً عن سؤاله، فإما أن يوفق وإما أن يخفق، وما توفيقنا جميعاً إلا بالله العلي العظيم، عليه توكلنا وإليه ننتيب.

أطفال المسلمين وتعمير مساجد الله

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَاصْبِرُوا بِأَعْيُنِنَا إِنَّا جَاعِلٌ لِلْمُصْلِحِينَ قُلُوبًا سَاجِدَةً لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٥)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَاصْبِرُوا بِأَعْيُنِنَا إِنَّا جَاعِلٌ لِلْمُصْلِحِينَ قُلُوبًا سَاجِدَةً لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٥).

الأسرة المسلمة

أطفال

المسلمين ..

طاقات مهددة

جمال عبد الرحمن



أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَهَدِّينَ، (التوبة: ١٨).

وكثيراً ما يحضر الكبار إلى بيوت الله- إن حضروا- لا يصطحبون معهم أبناءهم، الصغار منهم أو الكبار، وفي أوقات كثيرة نرى الكبار جالسين لسماع درس أو موعظة، فنسأل، أين أبناءكم أيها الناس؟ هل أصابكم الغم فلم تنجبوا جميعاً، أم أنكم رزقكم الله تعالى من البنات والبنين، فلماذا لم تصطحبوا معهم إلى تلك البقاع الطاهرة، خير وأحب البقاع إلى الله، فيتعلم البعض منهم أن الأولاد مشغولون في دراستهم ودروسهم، فنسأل، أليس العلم الشرعي من الدروس المهمة لعامة الأمة، صغيرها وكبيرها، ذكرها وأنتها؟ وهو العلم الذي به يعرف الناس ربهم ويعرفون حقه عليهم، فيدخلون بهذا العلم الجنة؟ قال صلى الله عليه وسلم: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة».

وقال الله تعالى: **«يَرْجِعُ اللَّهُ إِلَيْنَ مَا مَنَّا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَوْفُوا أَوَّلَهُمْ دَرَجَتَهُ»**، (المجادلة: ١١)، وقال صلى الله عليه وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم». إنه العلم الشرعي، ولا نقول بإهمال علوم الدنيا، فإن علوم الدنيا من سنن الله في خلقه، وبها استعمرنا ربنا سبحانه وتعالى في الأرض، قال الله تعالى: **«لَوْ أَنَّا كُنَّا مِنَ الْأَرْضِ لَنُتَمَرَّكُنَّ فِيهَا»**، (هود: ٦١)، أي، طلب منكم تعميرها بكل ما فيه خير وسعادة للبشرية، لكن لا يكون تعمير الدنيا بتخريب الآخرة، فإننا خلقنا للآخرة، والدنيا خلقت لنا.

قال الله تعالى: **«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»**، (الذاريات: ٥٦)، وليتحقق هذه العبادة على الوجه المريح الأكمل سخر الله لنا الدنيا، فقال: **«هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً»**، (البقرة: ٢٩)، وقال: **«اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ»**، (إبراهيم: ٣٢-٣٤).

نعم ظلم الإنسان نفسه فاعتنى بالدنيا كل العناية وأهمل أمر الآخرة التي من أجلها خلق، فخلت مساجد الله من العباد إلا القليل، وخلت من الأطفال، حتى من حضر فيهم لا يعرف كيف يصلي وكيف يصف الصفوف، وأين يقف وماذا يقول، وربما تكلم بعضهم أو لعب فزجره الحاضرون وطردوه خارج المسجد، فإلى أين يذهب؟ لن يجد إلا رفقة السوء وتاركي الصلاة وشاربي السجائر والمخدرات.

وأحياناً تقف ثلثة من الأطفال خارج المسجد تلهو وتلعب، وتصيح وتشفب، لا تجد من يأويها إلى بيت بارئها، ولا من يلقيها علماً ويهديها، فإين إذن رسالة المسجد ورسالة الدعوة القائمين على المسجد؟ ومن بعد هذا هؤلاء الصبية المساكين الذين لم يجدوا بالبيت من يؤدبهم، ولا بالمسجد من يوجههم؟ من يركب شهر الصيام،

وفي شهر رمضان من هذا العام تكررت الصورة التي سلف الحديث عنها: أطفال يكثرون حيث يجتمع الناس للتراويح، فيلعبون ويجرون ويصيحون، لا يدرون ما يفعلون، وهم في كل ذلك معذورون، لم يجدوا من يخاطبهم من الكبار الموجهين، كما قال أنس رضي الله عنه: «إن كان رسول الله ليخاطبنا»، ولم يجدوا من يجلس معهم على طعامهم، فيوجههم ويصحح لهم أخطأهم ويعلمهم آداب الأكل، كما كان المختار صلى الله عليه وسلم يجلس معهم على الطعام معلماً ومؤدباً فيقول لأحدهم: «يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»، وغير ذلك الكثير من مخالطة النبي صلى الله عليه وسلم واهتمامه بهذا الكيان الضخم، والثروة المهددة فخرج منهم أبطالاً وفرساناً، وعُباداً ورهباناً.

فلما رأينا هذه الطاقة الهائلة تهدر في جري ولعب وعبث وتشويش على المسلمين، دعونا من طلبية العلم مجموعة تتقاسم الوقت في جمع هؤلاء الصبية، هذا يعلمهم الآداب، وهذا يعلمهم الحديث من الأربعين النووية، وذاك يعلمهم السورة من القرآن، فحفظ بعضهم سورة النور، والبعض سورة مريم، والبعض سورة



تبارك، كل هذا كان في الليالي العشر المباركة الأخيرة من شهر رمضان المعظم، كان من المعلمين من يجلس معهم على الطعام معلماً، ومنهم من كان يصفهم للصلاة ويقف بينهم، ومنهم من كان يشرف على جلوسهم لسماع الدروس، وكان من بين تلك الدروس درس عن: «إن الله جميل يحب الجمال». ذكرنا فيه أن من الجمال تنظيف المسجد والمحافظة على طهارته من القمامة والنجاسة، وأن الذي يمد يده ليرفع ورقة أوقشة من بيت الله، فإن الله ينظر إليه بعين الرضا... إلخ.

وكانت المفاجأة، وجدنا هؤلاء الصبية بأفكارهم الخاصة ويمجھودهم وحدهم، جمعوا من كل واحد منهم خمسة جنيهات واشتروا عشر سلال لحفظ القمامة، ومعها أكياس، وممطر لهواء المسجد، وطلبوا منا أن نوزعها في نواحي المسجد الخالية، فشكرنا لهم هذا الصنيع أثناء إلقاء أحد الدروس، فهم كثير من الجالسين من رواد المسجد بمكافاتهم مالياً، فرفضوا أن يأخذوا المكافأة، وطلبنا منهم أن يقبلوها فأخذوها، وفي اليوم الثاني بفكرهم الخاص اشتروا بها مساويك للمصلين لما سمعوا درساً، كنا نسال الناس فيه عن هذه السنة المهمة، وهي «السواك»، فشكرنا لهم ذلك في دروس عند حضور المصلين، ففوجئنا بهم في اليوم التالي يشترون عدادات للتسييح ليوزعوها على المصلين، كل هذا بمجھودهم ومن بنات أفكارهم، ثم وجدناهم يجمعون من أنفسهم ومن مصروفهم واشتروا كيسين من التمر الجاف لتوزيعها على المعتكفين، وكلما هممنا بمكافأة أحدهم رفض المكافأة ولا يرضها لحصالتهم التي يشترون بها ما يوزعونه على رواد المسجد، فقلنا، الله أكبر، هذه هي أمة محمد صلى الله عليه وسلم، الخير فيها إلى يوم القيامة، أمة ولادة، بالأساسة والقادة، وأعلام الدعوة والعبادة، ليثبت لنا قوة هذا الدين وقوة هذه الأمة التي «يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون»، (التوبة: ٣٢).

ومن جميل ما رأيناه وعظيم ما شاهدناه من هؤلاء البراعم طفلان شقيقان دون الثامنة من العمر عبد الرحمن وعمر كانا بصحبة والدهما،

وأثناء درس عن حديث: «إن الله جميل يحب الجمال»، تكلمنا عن تعليم الأولاد عدم إلقاء القمامة في الشوارع ومن نوافذ السيارات بالطريق العام، وفي ليلة من الليالي حضر الطفلان مع والدهما فقام يصلي فاستأذناه أن يستريحاً، فأذن لهما، فطلبنا منه أن يعطيهم نقوداً ليشتريا شيئاً يأكلانه، فاشتريا «شبسي»، وبعد أن أكلا ظلاً ممسكين بالكيس، كل في يده وهو يلعب، واستمرا على ذلك أكثر من ساعة، يلعبان والأكياس الفارغة في أيديهما، فسألناهما أبوهما بعد الصلاة، فقالا: احتفظنا بها لنضعها في كيس القمامة الذي بالسيارة، لأن الله جميل يحب الجمال.

فانظروا كيف يتعلم الأولاد بسهولة ويسر، وفطرة نقية، لكن المشكلة إذا كان الأبوان فاقدين لهذه المبادئ، ففاقد الشيء لا يعطيه، ويكون الأبوان سبباً سلبياً في عدم التزام أولادهم بالمبادئ الشرعية والآداب الإسلامية. وقد كررنا هؤلاء البراعم الإيمانية على الأقل معنوياً أمام جميع الحاضرين، ورشحنا أحدهم «يوسف» ليلقي كلمة نيابة عن زملائه الصغار، فكان من كلامه: «نحن أحباب الله، نحن صغار لكننا كبار، كبار بأفعالنا التي سبقتنا بها الكبار، نحن نحب الخير لكل المسلمين، نحن أحباب الله... إلخ. فوعدناهم أن نتواصل معهم بعد العيد لنكمل المسيرة في خدمة بلدنا العزيزة وأمتنا الغالية، منطلقين من بيت الله حتى لا يقع أحدهم فريسة لأفكار متطرفة هدامة، كما أننا ندعو جميع القائمين على بيوت الله تعالى أن يعتنوا بهذا النشء، تعلماً وتاديباً بالرحمة والرفقة، والموعظة الحسنة والحكمة.

وأن يكونوا قدوة لهم فيما يقولون ويفعلون، وأن يوصوهم- كما أوصيناهم- بالأب لا يؤثر ذلك على علومهم ودراساتهم، وعلى برهم بأبائهم والإحسان إليهم، فإن المسلم الحق ناجح في دينه ودنياه، سابق في الأولى والآخرة، ولا مكان بيننا لعاطل أو فاشل، وإنما المسلم قدوة في الدين والدنيا.

وفق الله جميع المخلصين لما فيه خير البلاد والعباد، والحمد لله إلى يوم التناد.





قصة جمع ابن عباس لأولاده في مرضه وحسنات الحرم

العدد ١٢٨

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على السنة الوعاظ والقصاص، ومما ساعد على انتشارها وجودها في كتب السنة الأصلية، وإلى القارئ الكريم التخرير والتحقيق:

علي حشيش



«المعجم الكبير»، (١٢/١٥٥) (ج ١٢٦٠٦) قال، حدثنا طالب بن قرّة الأذني، حدثنا محمد بن عيسى الطباع (ح) وحدثنا إبراهيم بن أحمد الوكيعة، حدثنا منصور بن أبي مزاحم قال: حدثنا عيسى بن سودة أبو الصباح النخعي به.

٤- وأخرجه الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط»، (٣/٣٢٦) (ج ٢٦٩٦) قال: حدثنا إبراهيم، قال: حدثنا منصور بن أبي مزاحم، قال: حدثنا عيسى بن سودة أبو الصباح النخعي به.

ثالثاً: التحقيق

١- نستنتج من طرق التخرير التي بينها أن الحديث التي جاءت به هذه القصة الوافية اشتهر عن عيسى بن سودة أبو الصباح النخعي، فقد رواه عنه علي بن سعيد بن مسروق الكندي، ومحمد بن عيسى بالطباع، ومنصور بن أبي مزاحم فهذه شهرة نسبية لا مطلقة حيث إنه اشتهر عن فرد به، كذا قاله السخاوي في «فتح المغيب»، (٧/٤).

٢- فالحديث غريب عن إسماعيل بن أبي

أولاً: المتن:

زوي أن ابن عباس مرض مرضاً شديداً، فدعا ولده فجمعهم، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ حج من مكة ماشياً حتى يرجع إلى مكة: كتب الله له بكل خطوة سبع مائة حسنة، كل حسنة مثل حسنات الحرم، قيل له: وما حسنات الحرم؟ قال: بكل حسنة مائة ألف حسنة..»

ثانياً: التخرير:

١- أخرجه الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري في «المستدرک»، (١/٤٦٠) قال: حدثنا أبو علي الحافظ، حدثنا محمد بن الحسين بن حفص الخثعمي، حدثنا علي بن سعيد بن مسروق الكندي، حدثنا عيسى بن سودة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن زاذان قال: «مرض ابن عباس مرضاً شديداً فدعا ولده...» القصة.

٢- وأخرجه الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي في «السنن الكبرى»، (١٠/٧٨) قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو علي الحافظ به.

٣- وأخرجه الإمام الحافظ الطبراني في

روى عن إسماعيل بن أبي خالد، عن زاذان، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً منكراً..

ب- قلت، هذا قول فصل من الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل»، في عيسى بن سودة بن الجعدي النخعي وبيان من روى عنه عيسى بن سودة ومنهم إسماعيل بن أبي خالد كذلك وبيان الذين رَوَوْا عن عيسى بن سودة ومنهم علي بن سعيد الكندي.

وبمقارنة هذا بالسند الذي جاءت به هذه القصة نجده ينطبق عليه تمام الانطباق حيث جاء من طريق علي بن سعيد بن مسروق الكندي عن عيسى بن سودة، عن إسماعيل بن أبي خالد به.

ج- قول الإمام أبي حاتم: «هو منكر الحديث ضعيف، روى عن إسماعيل بن أبي خالد عن زاذان عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً منكراً.. اهـ. يشير إلى حديث القصة حيث جاء من طريق عيسى بن سودة عن إسماعيل بن أبي خالد عن زاذان عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم، كما بينا أنفاً من التخريج عند الأئمة الحاكم، والبيهقي، والطبراني.

د- هذا البيان حتى لا يحدث خلط بين: «عيسى بن سودة بن الجعدي النخعي»، علة هذا الخبر الذي جاء به هذه القصة الواهية بين «عيسى بن سودة»، ولأهمية هذا البيان وكشف هذا الخلط رَدُّ الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٤٥٩/٤) (٦٤١٩/٢٠٦٨) في ترجمة «عيسى بن سودة» على من جعل خبر هذه القصة من روايته، واستشهد بتخريج الحاكم له من أنه من رواية عيسى بن سودة، فقال: «رأيت في نسخة عتيقة من المستدرك رواه الحاكم عن أبي علي الحافظ عن محمد بن الحسين الخثعمي، عن علي بن سعيد عن عيسى بن سودة، فالظاهر أنه النخعي». اهـ.

خالد تفرد به عنه عيسى بن سودة أبو الصباح النخعي.

ولذلك قال الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٢٧/٣): «لم يرو هذا الحديث عن إسماعيل إلا عيسى». اهـ.

٣- وما ذكره الحافظ الطبراني في بيان هذا التفرد والذي هو منهجه في «المعجم الأوسط»، وهو من أقوى مناهج المحدثين، حيث يبين هذا التفرد عقب كل حديث من الحديث الأول حديث أبي موسى في متن «أمتي أمة مرحومة...» إلى حديث (٩٤٨١) حديث عدي بن حاتم في متن «الصدقة»، وقد ظهر في هذا الكتاب سعة روايته وكثرة اطلاعه على طرق الحديث وتمييز الطرق التي اشترك فيها عدد من الرواة عن هذا الراوي عن الطرق التي انفرد بها بعض الرواة عن بعض وهذا الأمر لا ينقاد إلا للإمام جهبذ هذا الفن الدقيق الواسع. وقد تعب كثير في إخراج هذا الكتاب على هذه الطريقة لذلك كان يقول: «هذا الكتاب روحي». اهـ.

٤- وعلة هذا الحديث الذي جاءت به القصة هو عيسى بن سودة أبو الصباح النخعي، ولقد أثبتنا تفرد، وهذا مهم في التحقيق حيث لم يرو هذا الحديث عن إسماعيل إلا عيسى؛ فالشهرة عنه لا تصلح لتقوية الحديث؛ لأنها دونه ويسبب عدم فهم هذه القاعدة زلت أقدام وضلت أفهام.

٥- بيان أقوال علماء الجرح والتعديل في عيسى بن سودة،

أ- قال الإمام الحافظ عبد الرحمن بن الإمام الكبير أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٥٣٩/٢٧٧/٦): «عيسى بن سودة بن الجعدي النخعي كوفي سكن الري روى عن إسماعيل بن خالد وآخرين، وروى عنه علي بن سعيد الكندي وآخرون. قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: «هو منكر الحديث ضعيف،

نستنتج من هذا التحقيق، أن هذه القصة واهية، وعلتها عيسى بن سودة النخعي كذاب.

وقال الإمام السيوطي في «التدريب»، (٢٧٤/١) النوع (٢١)، الموضوع، هو الكذب المخلوق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه، في أي معنى كان سواء الأحكام والقصاص والترغيب وغيرها إلا مقروناً ببيان وضعه، اهـ.

بهذا يتبين أن الخبر الذي جاءت له هذه القصة «موضوع»، بتطبيق التحقيق على علم أصول الحديث. ولقد ذكرنا حد الموضوع ورتبته وحكم روايته.

خامساً: الاغترار بتصحيح الحاكم؛

قد يفتر من لا دراية له بالصناعة الحديثية بقول الحاكم في «المستدرک»، (٤٦٠/١) بعقب إخرجه للحديث الذي جاءت به هذه القصة: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، اهـ.

قلت: لقد عقب الإمام الذهبي في «التلخيص»، فقال: «ليس بصحيح أخشى أن يكون كذباً، وعيسى قال أبو حاتم منكر الحديث»، اهـ.

قلت: بل عيسى كذاب.

سادساً: الاغترار بتخريج ابن خزيمة؛

قد يفتر أيضاً من لا دراية له بالصناعة الحديثية بأن الإمام أبو بكر ابن خزيمة أخرجه في «صحيحه»، فيتهم أنه صحيح.

قلت: دفعا لهذا التوهم فالحديث الذي جاءت به هذه القصة الواهية قد أخرجه الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة المتوفى سنة (٣١١هـ) في «صحيحه»، (٢٤٤/٤) (ح ٢٧٩١) قال: حدثنا علي بن سعيد بن مسروق الكندي، حدثنا عيسى بن سودة، عن إسماعيل بن أبي خالد عن زاذان عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره.

قلت، ولقد بدأنا التخريج برواية الحاكم ثم تلميذه البيهقي ثم الطبراني في المعجمين، هذا في «التخريج»، وكذلك بيناه في التحقيق تأكيداً بأقوال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم، فتقرر من أقوال هؤلاء الأئمة أن علة هذه القصة هو عيسى بن سودة بن الجعد النخعي، وهو منكر الحديث ضعيف، وكذلك الخبر الذي جاءت به القصة! منكر.

هـ. قال الإمام الحافظ الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد»، (٥٨٤٨/١٥٦/١١): أنبأنا أحمد بن محمد بن عبد الله الكاتب، أخبرنا محمد بن حميد المخرمي، حدثنا ابن حبان، قال، وجدت في كتاب أبي بخط يده قال أبو زكريا يحيى بن معين: عيسى بن سودة كان هاهنا سمعت منه ببغداد، ليس حديثه بشيء، وقال في موضع آخر: ابن سودة كان هاهنا يحدث عن إسماعيل وعن هؤلاء كان كذاباً قد رأيت وكُتبت عنه، اهـ.

٦- قلت، وقول الإمام الحافظ أبي زكريا يحيى بن معين المتوفى (٢٣٣هـ) في عيسى بن سودة «كان كذاباً قد رأيت»، نقله الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة (٧٤٨هـ) في «الميزان»، (٦٥٦٩/٥١٢/٣): «عيسى بن سودة النخعي، قال ابن معين: كذاب، رأيت»، اهـ. وأقر هذا القول الإمام الذهبي.

و- وأقر أيضاً الحافظ ابن حجر في «اللسان»، (٤٥٩/٤) (٦٤١٨/٢٠٦٧) قول الإمام الحافظ يحيى بن معين: أن عيسى بن سودة النخعي، كذاب رأيت»، اهـ.

وكذلك نقل كلام الإمام أبي حاتم: «عيسى بن سودة النخعي، منكر الحديث ضعيف، روى عن إسماعيل بن أبي خالد، عن زاذان، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً منكراً»، اهـ. وأقره.

رابعا: الاستنتاج؛

ولكن الإمام ابن خزيمة بعد أن أخرجه قال: «إن صح الخبر، فإن في القلب من عيسى بن سودة شيئاً».. اهـ.

قلت: حقاً ما قاله الإمام ابن خزيمة بل في القلب أشياء، فحسبك قول الإمام الحافظ يحيى بن معين في عيسى بن سودة: «كان كذاباً قد رأيته».. اهـ.

سابعا: طريق آخر واه للقصة:

١- أخرج الحافظ أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن محمد ابن الأزرق المعروف بالأزرق المتوفى سنة (٢٥٠هـ) في «أخبار مكة» (٧/٢) (ط. دار الثقافة مكة المكرمة)، قال: حدثني ابن أبي عمر، حدثني إسماعيل بن إبراهيم الصايغ قال: حدثني هارون بن كعب بن زيد الجوالي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أنه جمع بينه عند موته فقال: يا بني لست أسى على شيء كما أسى أن لا أكون حججت ماشياً فحجوا مشاةً.

قالوا: ومن أين؟

قال: من مكة حتى ترجعوا إليها، فإن للراكب بكل قدم سبعين حسنة، وللماشي بكل قدم سبعمئة حسنة من حسنة الحرم.

قالوا: وما حسنة الحرم؟

قال: الحسنة بمائة ألف حسنة..

٢- التحقيق:

أ- هذا الخبر الذي جاءت به القصة مضاف إلى ابن عباس رضي الله عنهما ولم يرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فالحديث موقوف.

ب- ومن بدائع الفوائد أن هذا الخبر الذي جاءت فيه القصة: «موقوف لفظاً، مرفوع حكماً»..

قال الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (ص ٥٢- شرح التهذيب) (ط. المكتبة العلمية بالمدينة المنورة): «الإسناد إما أن ينتهي إلى النبي

صلى الله عليه وسلم تصريحاً أو حكماً».. اهـ. وهذا ينطبق تمام الانطباق على الطريق الأول؛ حيث قال ابن عباس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حج من مكة ماشياً... الحديث الذي رواه عيسى بن سودة الكذاب كما بينا آنفاً. أما هذا الطريق فهو موقوف لفظاً مرفوع حكماً.

قلت: وهذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة من هذا الطريق تنطبق عليه هذه القاعدة تمام الانطباق لتحقيق شرطين:

الشرط الأول: الصحابي لم يأخذ عن الإسرائيليات ولم يعرف عنه ذلك.

الشرط الثاني: الحديث إخبار عما يحدث بفعله ثواب مخصوص.

أما الصحابي فهو الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لم يأخذ عن الإسرائيليات كما افترى عليه المستشرقون وأتباعهم الذين لا داية لهم بالحديث: «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً»..

فقد أخرج الإمام البخاري في «صحيحه» (ح ٧٣٦٢) كتاب «الاعتصام بالكتاب والسنة»، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا إبراهيم أخبرنا ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء؟ وكتابكم الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث تقرؤونه محضاً لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بذلوا كتاب الله وغيره وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم»..

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.



قوله في اللغة والنقل والمثل على حمل صفات الله (الغبرية) و (العلوية) على قضاها دون المجاز

قوله (نزل على لسان ساد) (النزول) و (الأتان) و (المجيء) لله

بأرقام (٧٨، ٦٩، ٥١)، وغيرهم.

والحق أن أحاديث (النزول) في الجزء الأخير من (الليل)، قد رواها أكثر من اثني عشر صحابياً، هم: ابن عباس، وابن مسعود، وعلي، وجابر بن مطعم، وجابر، وأبو هريرة، وعمرو بن عبسة، ورفاعة الجهني، وعبادة بن الصامت، وأبو سعيد الخدري، وعثمان بن أبي العاص، وأبو الدرداء، وسلمة جد عبد الحميد بن يزيد، وأبو الخطاب، وعمر بن عامر السلمي.. كما روى أحاديث نزوله تعالى يوم القيامة لأهل الجنة ولفصل القضاء: أبو هريرة، وابن مسعود، وأنس، وحذيفة، ولقيط بن عامر، والخدري، وأسماء بنت يزيد، وثوبان.. وروى أحاديث نزوله يوم عرفة: ابن عمر، وجابر، وكذا أم سلمة بإسناد حسن.. وروى أحاديث (النزول) في نصف شعبان) أبو بكر، ومعاذ، وأبو ثعلبة الخشني، وكثير بن مرة الحضرمي، وعائشة، وأبو موسى الأشعري، وأبو أمامة، وعوف بن مالك، وبعضها وإن كان فيه ضعف، إلا أن الأمر كما قال الألباني: «وإنما صححت الحديث لأنه روي عن جمع من الصحابة بلغ عددهم ثمانية، خرجت أحاديثهم في الصحيحة (١١٤٤)».

وكان الدارقطني قد جمع هذه الطرق في (كتاب النزول) الذي ضمنه ستة وتسعين حديثاً وأثراً، وقام بتخريجها غير واحد.. كما ساقها من قبل، ابن خزيمة في (كتاب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد، فلقد تواترت الأحاديث في ذكر (نزول الله تعالى إلى سماء الدنيا) بما تقام به الحجة على منكره، ونذكر من صحيحها،

أ- من صريح أدلة أهل السنة على إثبات صفة النزول لله على الوجه اللائق به، خلافاً للذين تأولوها من الأشاعرة بنزول رحمته وأمره ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟، من يسألني فأعطيه؟، من يستغفرني فأغفر له؟).

وما رواه مسلم عنه وفيه قوله عليه السلام: (ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟، من ذا الذي يسألني فأعطيه؟، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟، فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر)، وهو وينحوه بمسلم في (باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه).

وما أخرجه مسلم بنفس الباب من حديث أبي هريرة وأبي سعيد معاً بلفظ: (إن الله يمهّل حتى إذا ذهب ثلث الليل، نزل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر؟، هل من تائب؟، هل من سائل هل من داع؟، حتى ينضجر الفجر)، وقد أخرج أحاديث النزول من غير الشيخين بألفاظ متقاربة: أحمد وابن خزيمة والنسائي وأبو داود والذهبي في العلو وهو في مختصره

كل إنما يكون بحسبه.. وسيأتي من الأحاديث ونصوص أهل السنة على إثبات صفتي الإتيان والمجيء لله ما به تقام الحجة.

وتكتفي هنا في رد شبهات من تأولهما، بذكر ما جاء في آية البقرة من كلام الطبري إمام المفسرين، فقد نص -بعد أن ذكر الخلاف في إعراب (الملائكة)، ورجح قراءة (في ظلال) على قراءة (في ظلال)- على أن «الواجب في كل ما اتفقت معانيه واختلفت في قراءته القراء، ولم يكن على إحدى القراءتين دلالة تنفصل بها من الأخرى غير اختلاف خط المصحف، أن تؤثر قراءته منها ما وافق رسم المصحف، وأما الذي هو أولى القراءتين في (والملائكة)، فالصواب بالرفع عطفًا بها على اسم الله، على معنى: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام، وإلا أن تأتيهم الملائكة)، على ما روي عن أبي بن كعب، لأن الله قد أخبر في غير موضع من كتابه أن الملائكة تأتيهم، فقال، (وجاء ريك والملاك صفًا صفًا.. الضجر/٢٢)، وقال، (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ريك أو يأتي بعض آيات ريك.. الأنعام/١٥٨)..

قال ابن جرير، «ثم اختلف أهل التأويل في قوله: (ظلل من الغمام)، وهل هو من صلة فعل (الله) أو من صلة فعل (الملائكة)؟ ومن الذي يأتي فيها؟ فقال بعضهم: هو من صلة فعل الله، ومعناه: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام، وأن تأتيهم الملائكة)، ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن عمرو.. عن مجاهد قال، (هو غير السحاب، لم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم حين تاهوا، وهو الذي يأتي الله فيه يوم القيامة)..

وقال آخرون، (بل من صلة فعل الملائكة، وأما الرب فإنه يأتي فيما شاء).. وأولى التأويلين بالصواب في ذلك، تأويل من وجه قوله: (في ظلل من الغمام) إلى أنه من صلة فعل الرب.. لما حدثنا به محمد بن حميد، عن ابن عباس، أن النبي قال، (إن من الغمام طاقات يأتي الله فيها محفوظاً)، وذلك قوله: (هل ينظرون

إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر)..

قال، «ثم اختلف في صفة إتيان الرب الذي ذكره في قوله: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله)، فقال بعضهم: (لا صفة لذلك غير الذي وصف به نفسه من المجيء والإتيان والنزول، وغير جائز تكلف القول في ذلك لأحد إلا يخبر من الله أو من رسول مرسل، فأما القول في صفات الله وأسمائه، فغير جائز لأحد من جهة الاستخراج إلا بما ذكرنا..

وفي سرد ما شذ من الأقوال يقول الطبري، وقال آخرون، إتيانه تعالى نظير ما يعرف من مجيء الجاني من موضع إلى موضع، وانتقاله من مكان إلى مكان.. وقال آخرون، معنى قوله: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله) يعني به: هل ينظرون إلا أن يأتيهم أمر الله، كما يقال، قد خشينا أن يأتينا بنو أمية، أي: حكمهم.. وقال آخرون، بل معنى ذلك: هل ينظرون إلا أن يأتيهم ثوابه وحسابه وعذابه، كما يقال، قطع الوالي اللص أو ضربه، وإنما قطعه أعوانه.. قال أبو جعفر في رد كل هذا، «وقد بينا معنى (الغمام) فيما مضى من كتابنا هذا قبل، يقصد ما سبق أن ذكره في آية: (وظللنا عليهم الغمام.. البقرة/٥٧) من أنها تعني في لغة العرب: «ما غم السماء فألبسها، من سحاب وقتام وغير ذلك مما يسترها عن أعين الناظرين..» وقال تعقيباً على ما نحن بصده، «إن معناه هاهنا هو معناه هنالك، وعليه فمعنى الكلام إذا، (هل ينظر التاركون الدخول في السلم كافة والمتبعون خطوات الشيطان، إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام، فيقضي في أمرهم ما هو قاض)»..

كما نكتفي بما جاء في قوله تعالى (ويوم تشق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً.. الفرقان/٢٥)، بقول الحافظ ابن كثير، «يخبر تعالى عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور العظيمة، فمنها انشقاق السماء وتفتطرها وانفراجها بالغمام، وهو ظلل النور العظيم الذي يبهز الأبصار.. ونزل ملائكة

السموات يومئذ، فيحيطون بالخالق في مقام المحشر، ثم يجئ الرب لفصل القضاء، قال مجاهد، وهذا كما قال، (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) (البقرة: ٢١).

وقد أورد ابن كثير عقب هذا، أثر ابن عباس الذي قال فيه -بعد أن قرأ آية الفرقان-: «يجمع الله الخلق يوم القيامة في صعيد واحد، الجن والإنس والبهائم والطيور وجميع الخلق، فتتشق السماء الدنيا فينزل أهلها، وهم أكثر من الجن والإنس ومن جميع الخلائق، فيحيطون بالجن والإنس ويجمع الخلائق، ثم تشق السماء الثانية فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم وبالجن والإنس ويجمع الخلائق، وهم أكثر من أهل السماء الدنيا ومن جميع الخلق..»

ثم كذلك كل سماء على ذلك التضعيف حتى تشق السماء السابعة، فينزل أهلها وهم أكثر ممن نزل قبلهم من أهل السموات ومن الجن والإنس ومن جميع الخلق، فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم من أهل السموات وبالجن والإنس وجميع الخلق، وينزل ربنا في ظلل من الغمام وحوله الكروبيون وهم أكثر من أهل السموات السبع ومن الجن والإنس وجميع الخلق.. لهم زجل بالتسبيح والتلهيل والتقديس لله، إلى آخر ما جاء في رواية ابن أبي حاتم.

ويقوله في تفسيره: (وجاء ربك والملك صفاً صفاً.. الفجر/٢٢)، (وجاء ربك) يعني: لفصل القضاء بين خلقه، وذلك بعد ما يستشفعون إليه بمحمد سيد ولد آدم، بعدما يسألون أولي العزم من الرسل واحداً بعد واحد، فكلهم يقول: لست بصاحب ذاك، حتى تنتهي النبوة إليه عليه السلام فيقول، (أنا لها، أنا لها)، فيذهب فيشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء، فيشفعه الله في ذلك، وهي أول الشفاعات وهي المقام المحمود، فيجيء الرب لفصل القضاء كما يشاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفاً، (أهـ).

د- الأشاعرة يخالفون صريح الآيات والأحاديث المثبتة لنزوله تعالى ومجيئه وأتيانه،

ويضاد من كل ذلك أن القول بحمل المجيء والإتيان على المجاز، بد- (مجيء أمره وأتيان حسابه) -يعني: على تقدير حذف مضاف على ما ادعاه الأشاعرة تبعاً للمعتزلة والجهمية - قول غير صحيح، وينقضه أن ليس في اللفظ ما يقتضيه أو يدل عليه، وأنه إذا لم يكن في اللفظ دليل على تعيين هذا المحذوف كان تعيينه قولاً على المتكلم بغير علم، ولعل هذا هو ما حدا بالمتأولة لأن يتخطوا في تقدير المحذوف، فمن ذاهب إلى أن التقدير، (وجاء أمر ربك)، مع أن أمره تعالى، هو: كلامه وهو حقيقة ويجيء في كل وقت.. ومن قائل، إنها على تقدير (وجاء ملك ربك)، وأي عاقل لا يستطيع أن يفهم أن يتم مع هذا عطف (والملك صفاً صفاً)، فضلاً عن أن في هذا ما فيه من التلبس والتحريف ورفع الوثوق بكلام المتكلم..

بل إن استدلالهم فيما جنحوا إليه بقول الله تعالى، (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك.. النحل/٣٣)، استدلال في غير موضعه ويرد عليه فضلاً عما ذكرنا، اختلاف السياق الذي في شأنه يقول صاحب (معارج القبول) ٢٩٢/١ متسانداً،

«أليس قد اتضح.. أن مجيء ربنا غير مجيء أمره وملائكته، وأنه يجيء حقيقة، ومجيء أمره حقيقة، ومجيء ملائكته حقيقة، وقد فصل تعالى ذلك وقسمه ونوعه تنويعاً يمتنع معه الحمل على المجاز، فذكر في آية البقرة مجيئه ومجيء ملائكته وكذا في آية الفجر، وذكر في آية الأنعام إتيانه وأتيان ملائكته وأتيان بعض آياته التي هي من أمره ١٩.. ثم يقال، ما الذي يخص إتيان أمره بيوم القيامة؟ أليس أمره آتياً في كل وقت، متنزلاً بين السماء والأرض بتدبير أمور خلقه في كل لحظة (تَكَلَّمَ مِنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَلَى نَوْمٍ هَوِّنَ شَأْنَهُ) (الرحمن/٢٩)؟.. فهل للأشاعرة من جواب؟..

والى لقاء آخر.. والحمد لله رب العالمين.

فن التعامل مع الزوجة

الطبعة الأولى: ١٤٢٩ هـ

إسلام سؤال وجواب د. ياسر علي عبد الله

إسلام الدعوة والثقافة الإسلامية
جامعة الضامن الفرنسية العربية

معا، وامنحها بعض الوقت لتعبر عن مشاعرها وعواطفها؛ لتأتي إليك مستعدة. أحياناً تشعر الزوجة بالحاجة للبقاء وحدها لكن رغم ذلك إذا أخبرتها برغبتك في مساعدتها فستشعر بالأمان. وقد تكون زوجتك في أيام أخرى- بحاجة إلى كتف للبقاء عليه، وعليك ساعته أن تبعد الأطفال عنها، إذا كان لديكم أطفال فقد يكون سبب توترها ومزاجها الحاد الالتزام مع الأطفال بشكل دائم روتيني، فقم بأخذ أطفالك بعيداً عن البيت لفترة ما لتناول المثلجات أو للعب، لتمنح الأم فرصة للراحة في المنزل أو في أي مكان تفضله مع صديقاتها.

ضع نفسك مكانها، محاولاً أن تشعر بمشاعرها وتتفادى قول نكات أو تعليقات جارحة، لا تخبرها بأن مشاعرها غبية أو سطحية، أو بأنها كاذبة أو بأنك إذا كنت مكانها فلن تتذمراً لأنك لست مكانها ولن تتمكن من الإحساس بمشاعرها؛ فالوقت القصير الذي تمضيه برفقة الأطفال، أو في المنزل لا يعادل الوقت الطويل والجهد الذي تبذله هي، ثم تصرف بهدوء وفكر هل تستطيع هي أن تقوم بعملك دون تذمّر؟

أخبرها بأنك آسف، فلا ضرر من أن تخبرها بأنك آسف عندما تخطئ في حقها. فكلما آسف قد تمحو الكثير من المشكلات خصوصاً أن المرأة بطبيعتها تتقبل الصلح مهما تكن عصبية المزاج.

- أيضاً من فن التعامل؛

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله،

وبعد؛

قد يُبتلى المرء بزوجة غير مرغوب فيها؛ لأنها ذات طباع صعبة وحالات سلوكية حرجية. وسأذكر من هذه الطباع طرفاً يسيراً.

عن بعض الطرق الفعالة للتعامل مع الزوجة العصبية.

تؤثر العصبية علينا من وقت لآخر، وعندما يكون الشخص المتأثر هو الزوجة فقد يصبح من الصعب معرفة ما العمل للتخلص من هذه الحالة، ولحسن الحظ هناك عدة طرق فعالة لمعالجة مزاجية الزوجة.

النصائح:

امنح زوجتك مساحة من المودة أكثر قليلاً من الوضع الطبيعي، وقد يبدو ذلك أمراً صعباً، خصوصاً بعد نوبة من الصراخ أو رمي الصحون، لكن قد يكون للقليل من الحب أثر كبير في تلطيف الأوضاع وتحسينها، وانظر إلى سلوك النبي صلى الله عليه وسلم حينما كسرت إحدى نساته صحفة ضربتها، فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يجمع كسور الصحفة ويقول: «كلوا؛ غارت أمكم».

فكر في عمل شيء بسيط واجعله خاصاً؛ مثل شراء النوع المفضل لديها من الشوكولاته، أو المجلات، أو أي شيء تهتبهه مميّزاً، مثل: تحضير العشاء، أو ترتيب المنزل، إن التخفيف عنها سيجعلها تشعر باهتمامك وستزول مشاعرها السلبية، ولا غرابة فقد كان ذلك سلوك سيد البشر صلى الله عليه وسلم، فقد كان في بيته في مهنة أهله.

أخبرها بأنك مستعد وراغب في الدردشة

الزينة والعمل والتعب للزوجة

حيث نراه قد تبدل في لباسه وأهمل شعره، وترك أظافره والشارب، وغدا ذا راحة كريمة. في حين أن الخير كل الخير في امتثال المنهج النبوي في التجميل والتزين، والاهتمام بالمظهر؛ لأنه حق شرعي للمرأة، وسبب قوي في كسب قلبها وحبها.

فالنفس جُبِلَتْ على حب الأفاضل، والانتظف، والأجمل، وتعال وأدرس حال السلف-رضوان الله تعالى عليهم جميعاً- لترى كيف كانوا في هذا الباب.

وقد ذكر الدكتور إبراهيم الدويش في محاضراته فن التعامل مع الزوجة أن ابن عباس قال: إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي، وما أحب أن أستنفذ كل حقي الذي لي عليها فتستوجب حقها الذي لها علي؛ لأن الله تعالى يقول، «ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف» (البقرة: ٢٢٨).

وقد دخل على الخليفة عمر زوج أشعث أغبر ومعه امرأته وهي تقول: لا أنا ولا هذا.. لا تريد، لا أنا ولا هذا.. ما هو السبب؟

لقد فطن عمر لما تكرهه المرأة من زوجها، فأرسل الزوج ليستحم، ويأخذ من شعر رأسه، ويقلم أظافره، فلما حضر أمره أن يتقدم من زوجته فاستقربت، ونفرت منه، ثم عرفته فقبلته ورجعت عن دعواها..

تراجعت-إذن- عن طلب الطلاق فقال عمر: هكذا.. فاصنعوا لهن فوالله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهن كما تحبون أن يتزين لهن.

«وقال يحيى بن عبد الرحمن الحنظلي: أتيت محمد بن الحنفية فخرج إلي في ملحفة حمراء ولحيته تقطر من الغالية، والغالية هي خليط الطيب بل خليط أفضل الطيب؛ يقول يحيى فقلت له: ما هذا؟ قال محمد: إن هذه الملحفة ألقتها علي امرأتي ودهنتني بالطيب، وإنهن يشتهن منا ما نشتهيهن منهن».. (فن التعامل مع الزوجة، د. إبراهيم الدويش).

إذن فالمرأة تريد منك الذي تريده أنت منها من التجميل والتزين.

ومن الفن-أيضاً- بل من أعظم وسائل السعادة

أما الجمال والزينة للرجل فيحددوها الشرعية فلا إسبال، ولا وضع للمساحيق والأصباغ، كما يفعل بعض شبابتنا، ولا الذهاب لأماكن التجميل. (من محاضرات د/ إبراهيم الدويش، فن التعامل مع الزوجة).

سئلت عائشة، «بأي شيء كان يبدأ النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك» (مسلم ٢٧٧). وقد ذكر بعض أهل العلم فائدة ونكتة علمية دقيقة، قالوا، فلعل النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك ليستقبل زوجاته بالتقبيل.

وعن عائشة قالت: «كنت أطيب النبي صلى الله عليه وسلم بأطيب ما أجد حتى أجد وييص الطيب في رأسه ولحيته، صحيح البخاري، حديث رقم (٥٥٧٩)

وفي البخاري-أيضاً- أن عائشة قالت: «كنت أرجل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا حائض، المصنف لأبي شيبة، حديث رقم (٢١٣).

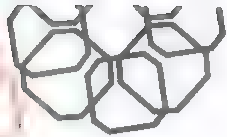
وفي حديث أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وقص الشارب، صحيح مسلم، حديث رقم (٢٥٧).

في هذه الأحاديث كلها وغيرها بيان ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من التجميل والتزين الشرعي الذي يحبه الله ويرتضيه.

هذا بخلاف ما عليه بعض الرجال اليوم من إفراطهم في قضية الزينة والتجميل ومبالفتهم في ذلك كثيراً.

ومن عجيب المتناقضات التي يعيشها بعض الرجال، أنك تجده يحلق لحيته للتجميل والزينة كما يزعم، ثم تشم منه رائحة كريهة عفنة هي رائحة التدخين، فأين أنت والتجميل أيها الأخ الجميل؟ أين أنت والتجميل الذي تريده يوم أن شربت الدخان؟

ونجد آخر قد وقع في تفريط وتقصير عظيمين عجيبين في قضية التجميل والزينة؛



للبيت المسلم:

١- تعاون الزوجين على العبادات والنوافل والأذكار... ففي ذلك مرضاة لله، وفي ذلك إحياء للبيت وطرد لروتين الحياة الممل.

فما أحلى أن ترى زوجين صالحين يتعاونان على طاعة الله، فالدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة.

ومثال ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما عن أم المؤمنين جويرة بنت الحارث رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟» قالت: نعم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله ويحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته». صحيح مسلم، حديث (٥٣٠).

الشاهد... انظر حرص النبي صلى الله عليه وسلم على إرشاد وتعليم زوجاته.

وعن عائشة -أيضاً- قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وأنا راقدة معترضة على فراشه، فإذا أراد أن يوتر أيقظني فاوترت». صحيح ابن حبان، حديث رقم (٢٦٣٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبي نضحت في وجهه الماء».

والقضية متبادلة؛ إن قصرت الزوجة فعلى الزوج أن يذكر ويعين، وإن فرط الزوج فعلى الزوجة أن تذكر وتعين، فكل منهما مطالب بتذكير الآخر، فنحن مطالبون بالتعاون بين الزوجين حتى في العبادات والنوافل، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، (المائدة: ٢).

وعن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته وصليا ركعتين جميعاً كتباً من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات». صحيح ابن حبان، حديث رقم (٢٦٣٣).

إننا-كثيراً- ما نغفل عن صلاة النافلة في البيت، في حين يحرص بعض الرجال على أن يصلي النافلة في المسجد، مع أن السنة أن تصلي النوافل والسنن الرواتب في البيت، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «إن أفضل صلاة الرجل في بيته إلا المكتوبة». بلوغ المرام، حديث رقم (٤٣٧).

لماذا...؟

ليذكر الأهل ويشجعهم، وليربي أولاده وصغاره على هذه الأفعال، وما أجمل البيت حينما تغيب شمس يوم ما وقد استعد الزوجان فيه للجلوس لجلسة الإفطار معاً!

ما أحلى هذه الجلسة وما أسعد هذين الزوجين في التعاون على مثل هذه العبادات، وقل مثل ذلك في: قراءة القرآن، وفي حضور درس أو محاضرة أسبوعياً، وفي القيام على الفقراء والمساكين في الحي، وغير ذلك من الأعمال الصالحة الخيرة، التي لو تعاون الزوجان عليها لكان ذلك عماد السعادة الزوجية، ولزاد من حلاوتها وروحها، ومن جرب هذا وجد حلاوة طعم هذه الحياة، «من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنخينينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون» (النحل: ٩٧).

من الفن أيضاً،

المازحة والمرح مع الأهل بالحق:

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «زارتنا سودة يوماً... زارتنا سودة يوماً تعني أم المؤمنين» فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينهما... فترتان «جلس النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها إحدى رجله في حجري والأخرى في حجرها، فعملت



لها حريرة أو قال خزيرة..

والخزيرة أو الحريرة: لحم مع دقيق مع ماء يخلط في بعضه، وهو نوع من أنواع الطعام، تقول عائشة: فعملت لها حريرة أو قال خزيرة، فقلت: كلى أي لسودة، فأبت فقلت: لتأكلي أو لأطخن وجهك فأبت..

تقول عائشة: «فأخذت من القصعة شيئاً فططخت به وجهها، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجله من حجرها تستقيد مني..» أي تأخذ حقها مني، «فأخذت من القصعة شيئاً فططخت به وجهي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك. سنن النسائي الكبرى، حديث رقم (٢٩١)..

ومن حديث عائشة رضي الله عنها: أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وهي جارية فقال لأصحابه: «تقدموا»، ثم قال: «تعالى أسابقك، فسابقته فسابقته، تقول: فسابقته على رجلي، فلما كان بعد أن خرجت معه في سفر فقال لأصحابه: «تقدموا». ثم قال: «تعالى أسابقك»، ونسيت الذي كان، وقد حملت اللحم فقلت: كيف أسابقك يا رسول الله وأنا على هذه الحال؟ فقال: «لتفعلن»، فسابقته فسابقني فقال: «هذه بتلك السبقة». رياض الأبدان، لأبي نعيم، حديث رقم (٤).

فينبغي للزوج المسلم أن ينمي في نفسه صفات الفكاهة والمرح مع زوجته لتقوية أواصر المحبة. ويروي علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يمازج زوجته فدخل عليها في يوم من الأيام فوجد في فيها عود أراك فأراد أن يمازحها، فنظر إلى عود الأراك يخاطبه بهذين البيتين الجميلين (فن التعامل مع الزوجة. د. إبراهيم الدويش) قال:

لقد حظيت يا عود الأراك بثفرها

أما خشيت يا عود الأراك أراك

لو كنت من أهل القتال قتلتك

فما فاز مني يا سواك سواك

وهذا يبين حالهم التي كانوا عليها مع أزواجهم-رضوان الله تعالى عليهم- فلا بأس أن ينظم الزوج أوقاتاً خاصة للعب والمرح مع الزوجة، فهذه سنة فهي تضيء على الحياة الزوجية البهجة والسعادة، وتبدد الروتين البغيض الذي يتسرب إلى الحياة الزوجية. -أيضاً- من الفن- مراعاة شعورها ونفسياتها،

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبي..» قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ قال: «أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين لا ورب محمد، وإذا كنت غضبي قلت: لا ورب إبراهيم»، قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك. صحيح مسلم، حديث رقم (٥٥).

ومن هذا الحديث يتبين لنا كيف كان صلى الله عليه وسلم بدقة ملاحظته ومراعاة شعور نفسية زوجه حتى عرف عنها هذا الأمر...

فإذا استقر الزوجان واستقرت حال كل منهما، عرف كل منهما ما يقضب الآخر وما يرضيه، وأسباب كل ذلك، ولتمكنا-بفضل الله- من توطيد أسس العلاقة الزوجية، والسير بها في الدروب الآمنة المفروشة بالورود والرياحين، ولأمكنهما-أيضاً- تجنب الأسرة مسالك العسر، ومواضع الزلل والتكد.

وأنا نلاحظ في هذا الحديث دقة عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاعر عائشة رضي الله عنها حتى صار يعلم رضاها وغضبها عند مجرد حلقها، إذا فمراعاة النفسيات أمر مهم لدوام المحبة، والزوج الذكي يحرص على تقدير نفسية زوجته فيغض الطرف، ولا يكثر العتاب، اللهم إلا في التجاوزات الشرعية التي لا بد أن يأخذ فيها على يديها، أما ما عداها فالكمال عزيز، وبعض الخصال تكون جبلة في المرأة بحيث يصعب تغييرها فاصبر، واحتسب. وللحديث بقية إن شاء الله، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد.

غزوة بني قريظة (١)

من المحاور الآتية:

مما لا شك فيه أن هذه الغزوة الوحيدة التي اهتم وحي السماء بتوقيتها وبيان أسباب حث النبي صلى الله عليه وسلم عليها والمشاركة الفعلية فيها:

أ- ومن مظاهر اهتمام الوحي بهذه الغزوة ما جاء في الصحيحين: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الخندق ووضع سلاحه واغتسل، أتاه جبريل عليه السلام، فقال: قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه فأخرج إليهم. قال: إلى أين؟ قال: إلى هاهنا. وأشار إلى بني قريظة. فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونادى في المسلمين: ألا لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة، فسار الناس فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، ولم يرد منا ذلك، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف أحدا منهم. (أخرجه

الحمد لله وحده، نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، أما بعد:

هذه وقفتنا الأولى مع غزوة بني قريظة والتي وقعت في شهر ذي القعدة من العام الخامس الهجري، وهي غزوة فاصلة لا شك في ذلك، فقد فصلت في يهود بني قريظة وطهرت الأرض من رجسهم- أقصد أرض المدينة النبوية المباركة، طهرت الأرض من خيانتهم ومؤمراتهم وموالاتهم للمشركين ودعمهم للمنافقين، وبالقضاء على بني قريظة تم القضاء التام على الوجود اليهودي عموماً حول المدينة النبوية، وصارت المدينة خالصة للمسلمين، وخلت الجبهة الداخلية من عنصر خطير لديه القدرة على المؤامرة والكيد، واضمححل حلم قريش لأنها كانت تعول وتؤمل في يهود أن يكون لهم موقف ضد المسلمين، وابتعد خطر اليهود الذي كان يهدد المنافقين بأسباب التحريض والقوة. اهـ من كتاب دراسات في عهد النبوة للشجاع ص ١٥٣.

ونحن عندما نتحدث عن هذه الغزوة وما لها من أهمية خاصة لا بد لنا أن ندخل إليها

البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها.
واللفظ له).

ب- ومن مظاهر اهتمام الوحي بهذه الغزوة امتنان القرآن على المسلمين بجعلها مقرونة بغزوة الأحزاب، حيث قال سبحانه: **وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْطِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَرَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَرَى اللَّهُ فِتْيَانَهُمْ وَأَزَلَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ مَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ وَيَرْتَوْنَهُمْ وَأَخْلَفُوا أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَهُمْ فِيهَا حَرْمَةٌ وَلَهُمْ فِيهَا حَرْمَةٌ وَلَهُمْ فِيهَا حَرْمَةٌ وَلَهُمْ فِيهَا حَرْمَةٌ** (الأحزاب: ٢٧).

فانظر كيف ذكر القرآن الكريم نعمة الله على المؤمنين في المدينة بنعمة رد الأحزاب يجرون أذيال الخيبة والهزيمة ثم عقب بعدها مباشرة بالحديث عن تمكين الله المسلمين من رقاب بني قريظة وأرضهم وأموالهم كما ذكرت الآيات المباركة، وفي ذلك من الإشارة باتتبارط الغزوتين وبيان أن سبب غزوة بني قريظة هو ما وقع منهم من نقض للمهود وموالة للمشركين ضد المسلمين فكانوا يمثلون الحزب الثالث من الأحزاب المجتمعة حول المدينة أو الجناح الثاني جناح من الخارج يمثل قريش وغطفان وجناح من الداخل يمثل يهود بني قريظة، ولذلك لم تضع الملائكة أسلحتها منذ انتهاء غزوة الخندق، وقد أخبر جبريل عليه السلام النبي بذلك، ومن هنا أدرك النبي صلى الله عليه وسلم أهمية المسارعة بتنفيذ أمر الله في سرعة الخروج ودعا المسلمين إلى ذلك فبادروا.

المحور الثاني: ماذا حدث من

يهود بني قريظة يوم الخندق؟

أجمع كتاب السيرة أن شيطان خبير وزعيم بني النضير حيي بن أخطب هو الذي زين للقوم خيانة عهدهم مع رسول الله، ولكي يطمئنتهم إلى نجاح خطته سلم نفسه لهم

ودخل معهم في حصونهم فكان الجزء من جنس العمل فقتل مع من قتل منهم. كما أجمع أصحاب المغازي والسير على أن زعيم يهود بني قريظة (كعب بن أسد) لم يكن راغباً مطلقاً في نقض العهد مع المسلمين، بل وأغلق بابه دون حيي بن أخطب عندما علم بحضوره، ولكن الشيطان ما زال به حتى أدخله عليه، فقال حيي بن أخطب لكعب: ويحك يا كعب! جنتك بعز الدهر، وجنتك بقريش حتى أنزلتهم بجمع الأسياال ويغطفان حتى أنزلتهم بجانب أحد، وقد عاهدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه، فقال له كعب: جنتني والله بذل الدهر وكل ما يخشى، فإني لم أرى محمد إلا صدقاً ووفاء، جنتني بجهاً قد هراق ماؤه فهو يرعد ويبرق ليس فيه شيء، (يقصد كعب بقوله هذا أن هذه الجيوش على كثرتها ليست إلا كالسحاب العظيم الذي تصك رعوده الأذان ويخطف برقه الأبصار وليس فيه قطرة ماء، وهذا القول ورب الكعبة يدل على حكمة الرجل... أو على إيمانه بصدق النبي وأن الله ناصره، لكن منعه الزعامة والرياسة عن إعلان إسلامه والدخول الصريح مع المسلمين، والله أعلم.

ثم قال كعب: «ويحك يا حبيب فدعني وما أنا عليه فإني أر محمدًا إلا صدقًا ووفاء». ومع إلحاح حيي بن أخطب وفكره وخبثه دعا كعب بن أسد لاجتماع حضرة زعماء بني قريظة وعرض عليهم ما عرضه عليه شيطان بني النضير، فتكلم زعماءهم وعقلاؤهم في هذا المجلس وهو منهم عمرو بن سعد، فتصح القوم وحذرهم من مغبة نقض العهد وذكرهم بوفاء محمد الدائم وصدقه في معاملته لهم وأنهم ملزمون بالقتال إلى جانبه بحسب العهد الذي بينه وبينهم، فكيف يسوغ لهم أن يشهروا السلاح في وجهه ويعينوا عدوه عليهم؟

وطلب منهم ألا يستجيبوا لكلام حيي بن

للأوس، ولكن موالاتهم للشيطان وللكافرين غلبت عليهم فصاروا مثلهم وبهذا أعلنوا الحرب على المسلمين صريحة دون مواربة ووضعوا أنفسهم في خندق واحد مع الأحزاب، فكان لا بد من التعجيل بهم بعد رحيل الأحزاب التي جاءت من مكة وغطفان، ولهذا السبب نزل جبريل عليه السلام في كوكبة من الملائكة، بل لم يضعوا سلاحهم منذ كانوا في الخندق مع المسلمين، وحث جبريل النبي صلى الله عليه وسلم كما حث النبي المسلمين فبادروا لتنفيذ الأمر- مع ما كانوا عليه من تعب وشدة بعد الخندق.

المحور الثالث: حصار بني قريظة:

من الواضح أن المعركة لا يدبرها جنود السماوات والأرض، أما جنود السماء فهم الملائكة بقيادة جبريل عليه السلام وأما جنود الأرض فهم المسلمون بقيادة النبي الأمي عليه الصلاة والسلام، والأمر يدار من فوق سبع سموات يتدبير من رب السماوات والأرض العزيز الحكيم، ولهذا ذكر صاحب موسوعة الغزوات الكبرى (محمد باشميل) عندما ساق حديث جبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم الصحيح أن الملائكة لم تضع أسلحتها بعد.

قال باشميل: «وفي بعض الروايات أن النبي طلب التأجيل أياماً لياخذ فيها جنده بعض الراحة، فقال بديل، انهض إليهم فوالله لأدقنهم كدق البيض على الصفا ولأدخلن هذا عليهم في حصونهم ثم لأصعصعنها، فكانت مهمة الملائكة إذن قذف الرعب بأذن الله وزلزلة أصحاب الحصون المنيعة من بني قريظة، ومهمة جنود المسلمين الحصار الخارجي المباشر والتعامل مع الأعداء فاجتمع على بني قريظة حصاران من الداخل والخارج ولذلك لم يتحملوا الحصار مع أنه لم يكن طويلاً فلم يدم أكثر من خمسة وعشرين يوماً كما ذكر ابن إسحاق وعند ابن سعد دام فقط

أخطب وأن يحملوا السلاح مع المسلمين أو على الأقل يكونوا على الحياد قائلاً: «إن لم تنصروا محمداً فاتركوه وعدوه». ولكن وسأوس وتأثيرات حيي بن أخطب كانت أقوى من كل معارضة- كما قال ابن إسحاق: «ما زال حيي بن أخطب يقتل في الذروة الغارب ويستدرج زعماء بني قريظة حتى أجابوه إلى ما طلب فوافقوا على نقض العهد والغدر بالمسلمين بشريطة أن يبقى حيي معهم ليصيبه ما أصابهم».

وغلب طيش كعب عقله وجمع زعماء بني قريظة ومزقوا الصحيفة التي فيها المعاهدة بينهم وبين المسلمين إلا عمرو بن سعدى فقد أصر على موقفه النبيل من عدم الغدر بمحمد والمسلمين، وكان معه في ذلك ثلاثة هم ثعلبة وعبيد أبناء شعبة وأسد بن عبيد، هؤلاء الثلاثة خرجوا وأعلنوا إسلامهم وعصموا دمائهم وأموالهم أما عمرو بن سعدى فبقى على يهوديته لكن نجاه من القتل صدقه ووفاءه ولما تنطابرت الأخبار وسمع بها النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن إسحاق: فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم: وقد كان هذا الوفد مكوناً من سعد بن معاذ رضي الله عنه وهو سيد الأوس وسعد بن عباد سيد الخزرج وعبد الله بن رواحة وأسيد بن حضير والجميع من الأنصار، وكانت المفاجأة أن يهود بني قريظة قد أصرروا على موقفهم وأساؤوا إلى الرسول وإلى هذا الوفد الكريم وما نقله ابن إسحاق أن بني قريظة بمجرد سماعهم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم والحديث عن العهد قالوا: «من هو رسول الله هذا؟»، ثم رجعوا قائلين: «لا عهد بيننا وبين محمد وهو الذي كسر جناحنا وأخرج إخواننا بني النضير، اذهبوا لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد». وبهذا الكبر والغرور والكذب والبهتان استقبل اليهود وفد المسلمين وفيهم زعيم الأوس وسيدهم سعد بن معاذ وكانوا موالين

خمسـة عشر يومـاً.

قال صاحب الرحيق المختوم: «ولما اشتد عليهم الحصار عرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد ثلاث خصال: ١- إما أن يسلموا ويدخلوا مع محمد في دينه، فيأمنوا على دمائهم وأموالهم وأبنائهم ونسائهم وقد قال لهم: والله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم. ٢- تتقاتلون بالسيوف وجهاً لوجه هو وأصحابه فإما أن ينتصر عليهم أو يموتوا عن آخرهم والثالثة أن يندفعوا إلى المسلمين في يوم سبت ويفكوا الحصار عنوة فأبوا أن يجيبوه إلى واحدة من هذه الخصال».. اهـ.

ولما رفض اليهود ما عرضه عليهم زعيمهم كعب بن أسد غضب وقال لهم: «ما بات أحد منكم منذ ولدت أمه ليلة واحدة حازماً». وكان بإمكان اليهود أن يتحملوا الحصار لشهور لأنهم محصنون في حصون منيعة وعندهم الطعام والماء الذي يكفيهم لكن الرعب قد أصابهم فلم ينتفعوا بشيء مما يملكون من طعام أو سلاح، وحينئذ بادروا بالنزول على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر باعتقال الرجال، فوضعت القيود في أيديهم تحت إشراف محمد بن مسلمة الأنصاري، وجعلت النساء والذراري بمعزل عن الرجال في ناحية أخرى، وقامت الأوس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله، قد فعلت في بني قينقاع ما قد علمت (يعني الجلاء) وهم حلفاء إخواننا الخرزج، وهؤلاء موالينا، فقال: «ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟»، قالوا: بلى. قال: فذلك سعد بن معاذ. قالوا: رضيينا. (راجع ابن إسحاق، وزاد المعاد، وابن كثير).

فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى سعد، وكان بالمدينة لأنه كان مصاباً بجرح عميق في غزوة الخندق وكان يعالج منه، فجاء به على حمار يركبه من المدينة إلى قريظة التي تبعد حوالي عشرة كيلو مترات عن مسجد النبي

بالمدينة، والتف قومه حوله يطلبون منه الإحسان في بني قريظة وهو ساكت لا يرجع إليهم بقول، فلما أكثروا عليه قال: «لقد أن سعد ألا تأخذه في الله لومة لائم»..

ويواصل صاحب الرحيق المختوم تلخيص القول نقلاً من كتب التاريخ والسير فقال: «ولما انتهى سعد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قال للصحابية: قوموا إلى سيدكم». فلما أنزلوه قال: يا سعد إن هؤلاء قد نزلوا على حكمك (يقصد اليهود). قال: وحكمي نافذ عليهم؟ قالوا: نعم. قال: وعلى المسلمين قالوا: نعم. قال: وعلى من هاهنا وأعرض بوجهه وأشار بيده ناحية رسول الله إجلالاً وتعظيماً. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «نعم وعلي».. قال: فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال، وتسبى الذرية، وتقسم الأموال. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات». قال الشيخ الألباني رحمه الله: وأصل القصة عند الإمام البخاري بدون لفظة: «من فوق سبع سماوات». وقال صاحب الرحيق: «وكان حكم سعد في غاية العدل والإنصاف فإن بني قريظة بالإضافة إلى ما ارتكبوا من الغدر الشنيع، كانوا قد جمعوا لإيادة المسلمين ألفاً وخمسمائة سيف وألفين من الرماح وثلاثمائة من الدروع وخمسمائة ترس مصل عليهم المسلمون بعد فتح ديارهم».. اهـ.

وقبل أن نترك هذا المكان نقارن مقارنة سريعة بين موقف سعد بن معاذ رضي الله عنه وموقف زعيم المنافقين ابن سلول وهي مقارنة بين موقف أهل الإيمان الحق وأهل النفاق من أحكام الله ورسوله ومن موالة أعداء الله ورسوله، وللوقوف مع الدروس والعبر المستفادة من هذه الغزوة نلتقي بإذن الله وإلى ذلك نسأل الله تعالى لنا ولكم الثبات على دينه حتى نلقاه.

امين، أمين.



الحل الاجتماعي والنفسي لمشكلة العاطفة وتغلبها على الشباب

✍️ د. عبد الرحمن بن صالح الجبران

(صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ص ١٧٦). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية، «كما أنه لم يكن في القرن أكمل من قرن الصحابة فليس في الطوائف بعدهم أكمل من أتباعهم، فكل من كان للحديث والسنة وأثار الصحابة أتبع كان أكمل، وكانت تلك الطائفة أولى بالاجتماع والهدى، والاعتصام بحبل الله، وأبعد عن التفرق والاختلاف والفتنة، وكل من بعد عن ذلك كان أبعد عن الرحمة وأدخل في الفتنة». (منهاج السنة، ٦/٢٤٦).

وكانت من مهمة النبي صلى الله عليه وسلم ما بيّنه الله تعالى في كتابه بقوله: «وَيَمْلِكُهُمُ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ وَزَكَاةُ» (البقرة: ١٢٩).

ولما لازموا النبي صلى الله عليه وسلم انتفعوا بلفظه وحظّه، واستفادوا من قوله وفعله، وخرج لنا هذا الجيل القُدّ الفريد.

فقد كان صلى الله عليه وسلم يعايش أصحابه، ويرى زلاتهم فيقومهم، ويطلع على مشكلاتهم المختلفة فيوفق في حلها، يكملهم ويربيهم ويكملهم، فهذا يقول له: «ثكلتك أمك»، وتارة يقول له: «أفتان أنت يا معاذ؟»، وهؤلاء يقول لهم: «دعوه لا تزعزعوهم، إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»، وآخر يوصيه: «لا تقضب»، ولما سمع عمر يحلف بأبيه قال: «لا تحلفوا بأبائكم».

ولما عثر أبو ذر رجلاً بأمه، قال له: «إنك امرؤ فيك جاهلية». ولما رأى أبا مسعود البصري يجلد عبده، قال له: «اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

فقد تحدثنا في مقال سابق عن أهم العوامل التي تساعد الشباب على التغلب على العاطفة وما يتبعها من آثار قد تكون سلبية مؤثرة على شخصيته وتكوينه الاجتماعي، ثم قلنا، فما عسى أن يصلح الشيوخ في الشباب، والآباء في الأبناء إن أرادوا إصلاحاً؟ وقلنا، إذن فما الحل الشرعي؟

نقول، الحل الشرعي،

قال الله تعالى: «وَأَسِرْ فَسْكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْرِ وَالْفِرَارِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهِمْ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ الصَّالِحِينَ» (الكهف: ٢٨).

قال البربري في «شرح السنة» (ص ٤٨): «عليك بالآثار، وأهل الآثار، وإياهم فاسأل، ومعهم فاجلس، ومنهم فاقبض».

وعن عمرو بن قيس المخزومي قال: «إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة، فارجعه، وإذا رأيته مع أهل البدع، فإياهم منه، فإن الشاب على أول تشوّه». (الإبانة: ٢/٤٨١، ٥١٨).

وقال: «إن الشاب ينشأ، فإن آخر أن يجالس أهل العلم كاد أن يسلم، وإن مال إلى غيرهم، كاد أن يعطب».

وقال الصديق حسن خان رحمه الله: «عليك يا باغي الخير، وطالب النجاة بلا ضير، أن تكون محدثاً، أو متطفلاً على المحدثين، وإلا فلا تكن.. فليس فيما سوى ذلك من عادة تعود إليك».

منك عليه.. ورأى أحدهم مسبلاً فيقول له: «ارفع إزارك». ويرى أحدهم واهراً الشارب فيدعو بالسواك والمقراض فيقص له شاربته بنفسه، فيهتم بخلقهم، وخلقهم.

ويحفظهم القرآن والسنة بنفسه، كما قال جابر رضي الله عنه: «كان يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن». ويقول ابن مسعود: «تعلمت من النبي صلى الله عليه وسلم التشهد وكفى في كفه كما يعلمنا السورة من القرآن».

وكان يختبر ما عندهم من فقه، كما سألهم مرة عن شجرة تشبه المؤمن.. إلى غير ذلك كثير جداً. فما عسى أن يقول بعض الشيوخ اليوم ممن قد لا يعرف أسماء طلابه، لا يتفقدونهم ولا يتركونهم، يلزمونهم، فيأتي الشيخ المدرس أو المحاضرة يحمد الله ويثني عليه ثم يلقي كلمته ثم الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم، فهل قام الشيخ بواجبه المنوط به، وكذا الطالب جعل العلم كأنه كم من المعلومات.

فما فائدة الشيخ إذن؟ وما الفرق بين الشيخ وشريط التسجيل يسمع أو كتاب يقرأ؟ بل قد يكون في الكتاب من العلم المنضبط أكثر بكثير من الشيخ أو الدكتور أو نحو هؤلاء.

وهناك أمور أخرى منها ما ذكرها الشيخ العلامة ابن عثيمين رحمه الله إذ يقول: «يوجد في بعض الشباب اليوم الذين من الله عليهم بالهداية، وحرصوا كل الحرص على تطبيق الشريعة، يوجد فيهم شيء من التنافر على خلاف يسعهم الاختلاف فيه؛ لأنه محل اجتهاد والنصوص تحتمل هذا وهذا، ولكن بعض الشباب يريد أن يكون جميع الناس تبعاً لرأيه فإن لم يتبعوا رأيه فإنه يعتبرهم على خطأ وضلال، وهذا خلاف ما كان عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من الأئمة.. وأقول كل إنسان يرى أنه يجب على الناس أن يتبعوه، فإنه قد اتخذ لنفسه مقام الرسالة، (ضوابط وتوجيهات ص ٤٢).

قلت: وهنا نذكر هؤلاء الشباب بأهمية ملاحظة جانب الإخلاص في القول والعمل، ونذكرهم بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أول

الناس يُقضى بينهم يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعزفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعزفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار... الحديث. (صحيح مسلم، ٥٠٣٢).

فهذه الأعمال والمقام التي جاءت في الحديث، وهي الشهادة في ساحة القتال وتعلم العلم وقراءة القرآن والإنفاق في سبيل الله كلها تحولت إلى مآثم بسبب تحول النية من الإخلاص لله تعالى إلى ملاحظة ما عند الناس، والله تعالى يقول في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه». (أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله).

إن مراعاة جانب الإخلاص في الأقوال والأعمال يقضي على كثير من الآفات والانحرافات، كيف لا وهذا شعار الأنبياء والأصفياء؛ حيث طووا عنهم رغبات الدنيا والأهواء المهلكة، وتآلفت قلوبهم واجتمعت على إثبات الله والدار الآخرة فجاءتهم الدنيا وهي راغمة.

وهكذا ينبغي للشباب أن يديم المراقبة لنفسه وما يختلج فيها ويحاسبها ولا يتركها تسير على هواها ثلاً ترديه.

يقول الحسن البصري رحمه الله: «رحم الله عبداً وقف عند همه، فإن كان لله أمضاء، وإن كان لغيره تأخر». (آداب النفوس ص ٦٣).

ويقول الحارث المحاسب رحمه الله: «وحاجة العبد إلى معرفة نفسه وهواها، وعدوه، ومعرفة الشر أشد إن كان كيساً وهو إلى ذلك أفقر إن كان فطناً معنياً بنفسه».

أما عن الحل الاجتماعي؛ فهذا ما نتحدث عنه في العدد القادم إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

فقر المشاعرين بين الطلاب والمعلمين

د. محمد إبراهيم النعمان



يكون لتلميذه كما يكون الوالد لولده لانتهاز فرصة غلبة النوم على تلميذه، وأرجأ الدرس إلى الليلة الثانية، هذا مع ما علم من مقام الإمام محمد بن الحسن في الدولة، وكثرة أعماله العلمية، لكنه لما كان يعلم أن من أدب الإسلام أن يكون التلميذ بمنزلة الولد من الوالد التزم مع أسد بن القرات هذا الأدب الرحيم، وكان من نتيجة ذلك نبوغ أسد بن القرات وقيامه للملة الإسلامية بما لا يقوم بمثله إلا أفاض النوايا من صفوة البشر.

ويقص علينا التاريخ أن في الأساتذة من يحرص على أن يرتقي طلابه في العلم إلى الذروة، ولا يجد في نفسه حرجاً من أن يظهر عليه أحدهم في بحث أو محاضرة.

يذكرون أن العلامة أبا عبد الله الشريف التلمساني كان يحمل كلام الطلبة على أحسن وجوهه، ويبرزه في أحسن صورته.

ويروى أن أبا عبد الله هذا كان قد تجاذب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تحدثنا في المقال السابق عما ينبغي أن يكون عليه المعلمون لطلابهم، وأن يكونوا مثل الوالد مع ولده، وأوردنا ما يرسخ المحبة وينميها بين المعلم والطلاب، وقلنا، إذا أحببت الطلاب وأحبوك وجدت سعادتك بينهم أكثر مما تجدها في البيت بين الأصحاب، ثم أوردنا نبذة عن أحوال المعلمين مع الطلاب، وأحوال الطلاب مع المعلمين، ثم ضربنا مثلاً لذلك لترجمة الإمام الفاتح أسد بن القرات، وقلنا، إنه لما كان يأخذ العلم عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني، تلميذ الإمام أبي حنيفة كان الإمام محمد بن الحسن إذا رأى تلميذه أسد ابن القرات غلب عليه النوم وهو يسهر في تلقي العلم عنه نضح على وجهه الماء، ليجدد له نشاطه، شفقة منه عليه، ورغبة منه في أن ينهض إلى مستوى الإمامة في العلم.

ونقول: لولا أن محمد بن الحسن تأدب بأدب الإسلام، وعمل بالمبدأ المحمدي في أن





مع أستاذه أبي زيد ابن الإمام الكلام في مسألة، و طال البحث اعتراضاً وجواباً، حتى ظهر أبو عبد الله على أستاذه أبي زيد، فاعترف له الأستاذ بالإصابة، وأنشد مداعباً:

أعلمه الرماية كل يوم

فلما اشتد ساعده رماني

والذي يقرأ مثل هذه السيرة تهتز في نفسه عاطفة احترام لمن أقر بالخطأ، أو اعترف لخصمه بخصلة حمد، وربما كان إكبارهم لمن أقر بالخطأ فوق إكبارهم لمن خالفه فأصاب، وسبب هذا الإكبار عظمة الإنصاف، وعزة من يأخذ نفسه بها في كل حال.

وهذا الشيخ ابن التلمساني، أحد كبار علماء شمال إفريقيا سألته السلطان عن مسألة فقال: إن تلميذي فلاناً يحسن الجواب عنها، فوجه السلطان السؤال إلى تلميذ ابن التلمساني، فأحسن الجواب، فأجازه وأحسن منزلته، وكان ابن التلمساني أعلم من تلميذه فيما سألته عنه السلطان، لكنه، لاعتباره تلميذه بمنزلة ولده أراد أن ينوه به في حضرة السلطان كما لو كان ولده حقاً.

والطلبة في دستور الإسلام عرفوا كيف يقابلون هذا العطف الأبوي من أساتذتهم بما يكافئه من حرمة ومحبة وإجلال، ومن أقدم الأمثلة على ذلك ما رواه الشعبي، أن زيد بن ثابت رضي الله عنه صلى على جنازة، ثم قربت إليه بغلته ليركبها، فبادر إليه عبد الله بن عباس، فأخذ بزمام البغلة، لمساعدته على الركوب، فقال له زيد: خل عنه يا ابن عم رسول الله، فأجابه ابن عباس- رضي الله عنهما:- هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء.

وقد حافظت ذرية ابن عباس على هذا الأدب من التلاميذ نحو أساتذتهم بعد أن صار بنو العباس ملوك الدنيا، فقد نقل برهان الإسلام الزرنوجي، في كتاب تعليم المتعلم طرق التعلم: (أن أمير المؤمنين هارون الرشيد بعث ابنه إلى الأصمعي، ليتعلمه العلم والأدب، قرأه يوماً يتوضأ ويغسل رجله، وابن الخليفة يصب الماء على رجله، فعاتب الخليفة الأصمعي

بقول: إنما بعثته إليك لتعلمه وتؤدبه، فلماذا لم تأمره بأن يصب الماء بإحدى يديه، ويغسل بالأخرى رجله؟

فانظر كيف رأى أن تقصير ابنه في ذلك تقصير في أدب التلميذ مع أستاذه.

وقد علمنا من سيرة ابن خلدون أنه لما رزى بوفاة كبار شيوخه وكان منهم القاضي محمد ابن عبد السلام، والرئيس أبو محمد الحضرمي، والعلامة محمد بن إبراهيم الأبلي، ضاق به وطنه، فترك مقامه الوجيه الذي وصل إليه في قصر الإمارة، ورحل عن تونس إلى الجزائر والمغرب الأقصى؛ لأن مقام أساتذته كان في نفسه فوق كل مقام.

وهذه المحبة الصحيحة التي يكنها التلميذ لأستاذه هي التي حملت العالم أحمد بن القاضي على أن يقول في شيخه المتجوري: (وصارت الدنيا تصغر بين عيني، كلما ذكرت أكل التراب للسانه، والدود لبنانه).

إن هذا الأدب الإسلامي الذي جعل من الطلبة أبناء للأساتذة كفلذات أكبادهم، وجعل من الأساتذة آباء لتلاميذهم يعطفون عليهم أكثر من عطف الآباء على أبنائهم، هو الأدب اللائق بنا أن نرجع إليه لنجدد في تاريخنا عهداً سعيداً، فننعم به ونسعد بنعمته، والطلبة الذين يكتسبون من دراستهم مثل هذا الأدب يناهون به من السعادة أضعاف ما يناهون به من دراسة العلم مهما تقدموا فيه.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

ومن أهدافها

١ الدعوة إلى التوحيد الخالص الأظهر من جميع الشرائب، وإلى حب الله تعالى حباً صحيحاً صادقاً، يتمثل في طاعته وتوقره، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم حباً صحيحاً صادقاً، يتمثل في الاقتداء به والتعاطف أسرته حسنة.



٢ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعه الصافين : القرآن والسنة الصحيحة، ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.



٣ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدة وعملاً وخُلُقاً.



٤ الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشروع غيره - فيما لم يأذن به الله تعالى - معتد عليه سبحانه، منازع إياه في حقوقه.



وق ..
وعليك أن تتذوق



www.altahhandates.com



(+2) 01067717725



Altahhan.goldendates



محافظة الوادي الجديد



خدمة العملاء

01284447778

01128911113

قلعة صناعة التمور في مصر